كونان دويل

مغامرات شرلوك هولمز

روايات الهلال



روائع القصص العالمي

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٨٥ * يناير ١٩٥٦ * جمادى الأولى ١٣٧٥

No. 85 * January 1956

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٧٠ مليما — فى الأقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ٩٠ قرشا سوريا — فى لبنان ٩٠ قرشا لبنانيا — فى الأردن ٩٠ فلسا — فى العراق ٩٠ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٧٠ قرشا صاغا — فى سوريا ولبنان (بالطائرة بواسطة شركة فرج الله فى بيروت) ٩٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا — فى المملكة السعودية والعراق والأردن وليبيا ٩٠ قرشا صاغا — فى الامريكتين ٢/١ ٤ دولارات — فى سائر انحاء العالم ١٢٢ قرشا صاغا أو ٢٥ شلنا

طريقة الدفع

فى مصر والسودان : نقدا أو بموجب أذونات أو حوالات بريدية او شيكات — **فى خارج القطر المصرى :** بموجب حوالة مصرفية على أحد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order) أو الى احد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبول أذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك — القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال



مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

مغامرات شرلوك هولمز

تأليف

الروائى الأشهر

كونان دويل

دار الهلال

مؤلف الرواية

كان السير آرثر كونان دويل طبيبا قبل أن يصبح كاتبا ويتفرغ لتأليف الروايات البوليسية . ولعل أكثر النـاس تأثيرا فى حيـاته هو الدكتـور « جوزيف بل » أستاذه الذى تلقى عليـه بعض فروع الطب وهو طالب ، والواقع أن هذا الاستاذ هو الذى حفزه فيما بعد الى ابتكار شخصية شرلوك هولمز ، واتباع طريقة الاستنتاج والتحليل التى امتاز بها ، وهو اذ ابتكر هذه الشخصية الروائية قد جعلها على طراز أستاذه هذا شكلا وموضوعا . فمن حيث الشكل كان الدكتور « بل » طويل القامة نحيل الجسم له عينان كعينى الصقر . ومن حيث الموضوع كان دقيق الملاحظة للدرجة القصوى

وقد كتب عنـه كونان دويل مقالا فى مجلة « ستراند » أورد فيها مثلين على قوة ملاحظته التى كان يطبقها على المرضى أمام طلبته . فأما المثل الاول فيذكر كونان دويل أنه قال لمريض : « انى أرى أنك مدمن السكر ، فأنت تحمل زجاجة خمر فى جيب سترتك الداخلى » واتضح أن الرجل كان حقا من مدمنى المسكرات . وأما المثل الثانى ، فيقول كونان دويل فى ذلك المقال أن أستاذه نظر الى مريض حين دخل عنده فقال له توا : « انى أرى أنك اسكاف » . ثم التفت الى طلبته وجعل يشرح لهم كيف عرف لأول وهلة صناعة ذلك الرجل ، فقد لحظ أن موضع الركبة من بنطلونه قد بلى ، وذلك حيث يضع الاسكاف عادة الحجر الذى يشتغل عليه

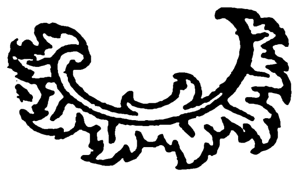
ثم يقول كونان دويل : « لقد ترك هذا فى نفسى أثرا كبيرا . ولم يغب الدكتور « بل » قط عن ذاكرتى بعد ذلك ، بل كنت دائما أتمثله بعينيه الحادتين النفاذتين ، وأنفه الذى يشبه منقار النسر ، وملامحه التى تلفت الأنظار . وقد كان يجلس أمامنا فى كرسيه ضاما أصابع

يده وكان حاذقا فى استعمالها . وكان شفيقا بطلابه يبذل قصارى جهده لتعليمهم ، فكان لهم نعم الصديق حتى اذا تخرجت وصرت طبيبا وسافرت الى افريقا ، كانت شخصيته البارزة وطريقته فى الملاحظة والتحليل تملأ خاطرى ، دون أن أتصور وقتئذ أن ذلك سوف يغرينى بأن أترك مهنة الطب الى كتابة الروايات البوليسية »



على أن السنوات التى قضاها الدكتــور كونان دويل فى ممارسة الطب كان لها أيضا تأثير كبير فى حياته المستقبلة ، فقد عرفته بالكثير من حقائق الحياة ، وأمدته بالكثير من الذكريات والملاحظات ، واستطاع فى خلالها أن يطبق طريقة أستاذه القائمة على ملاحظة كثير من الناس والحوادث والأحوال . وكما ابتكر شخصية شرلوك هولمز ، استعار هو لنفسه شخصية الدكتور جون ه . وطسن ليروى حوادث هولمز فى مذكراته كما تروى فى الصفحات التالية

وقد كتب الدكتور « جوزيف بل » بعد ذلك عن تلميذه الدكتور دويل فى مجلة « ذى بوكمان » ، وقدم لمقاله بالحديث عن أهمية قوة الملاحظــة فى الطب وفى الحياة ، ثم نقــد روايات شرلوك هولمز وبين ميزاتهــا على الروايات البوليسية الاخرى التى لا تقوم على قاعدة الملاحظة والتحليل والاستنتاج ، وقد يعرف القارىء نهايتها من قراءة بدايتها ... أو يتوه فى حوادثها حتى اذا وصل الى آخرها يكون قد نسى أولها ! . وذلك على عكس روايات كونان دويل المتسلسلة الحوادث ، المتماسكة الفكرة ، القائمة على تفكير هادىء رصين ، قوامه العلم والمنطق



فضيحة في بوهيميا

أهم الأشخاص

- **الدكتور واطسن** : راوية القصة ومساعد هولمز
- **شرلوك هولمز**
- **الكونت فون كرام** : اسم مستعار تنكر تحته ملك بوهيميا
- **ايرين آدلر** : مغنية أوبرا فاتنة حسناء ومغامرة واسعة الحيلة
- **جودفرى نورتون** : محام شاب صديق ايرين آدلر

— ١ —

روى الدكتور وطسون ، فقال :

كان شرلوك هولمز يسميها دائماً « المرأة » . ولم أكن أسمعه يشير إليها أبداً بغير ذلك الاسم . ولم يكن ذلك لأنه يميل إلى « إيرين آدلر » ميلا خاصا ، فقد كان الميل إلى جنس النساء شيئاً بعيداً عن طبعه البارد وذهنه المتزن . . فما كان شرلوك هولمز إلا أدق وأضبط آلة استنتاج عرفها العالم .. أما الحب ، فلم يكن ميدانه بحال من الأحوال ، فهو عنه غريب كل الغرابة . . وماسمعته يتكلم عن تلك العواطف الرقيقة إلا فى تهكم واستخفاف . ومع هذا لم يكن يطلق اسم المرأة إلا على ايرين آدلر ، لأنها كانت المرأة الوحيدة فى حياته التى استحقت منه الاعجاب والتقدير . .

وكانت قد مضت فترة من الزمن لم أر فيها هولمز ، فقد فرقنا ــ بعد طول اتصال وألفة ــ أننى تزوجت وأخلدت إلى حياة الأسرة ، ورعاية عيادتى الطبية ، فاستغرق ذلك اهتمامى كله . أما هولمز فبقى فى مسكنه بشارع بيكر لا يزور ولا يزار إلا لعمل ، فهو على ما فطر عليه من كراهة الاختلاط ، وحب العزلة ، غارق فى كتبه ، أو عاكف على تدخين غليونه ، إذا لم تنتشله من ذلك قضية غامضة ، أو شهوة الكوكايين . فلم أعرف عن صديقى فى المدة الأخيرة إلا ما يعرف المعجبون به جميعا من أخبار فى الصحف ، متعقبا مجرما ، أو منقذا لشرف متهم برىء

وفى ذات ليلة فى العشرين من مارس سنة ١٨٨٨ ، كنت عائداً من عيادة مريض ، وكان طريقى على شارع بيكر ، فلما مررت على ذلك الباب المعهود الذى ارتبط فى ذاكرتى بأيام المغامرة المشتركة فى صحبة صديق الشباب ، وبأيام

ثم ألقى ورقة سميكة وردية اللون كانت أمامه على المائدة ، واستطرد :
— لقد جاءتنى هذه الرسالة بالبريد الأخير ، فاقرأها بصوت عال
ووجدت الورقة خلواً من التاريخ ، وليس بها أى توقيع أو عنوان يدل على الراسل ، وهى تتضمن السطور التالية بخط اليد :
— سيزورك الليلة فى الساعة الثامنة إلا ربعا ، سيد يرغب فى طلب مشورتك فى مسألة غاية فى الدقة والأهمية . وقد دلت هذا السيد خدماتك لبيت من أعرق البيوت المالكة فى أوربا فى المدة الأخيرة على أنك أهل للثقة ، متصف بالكتمان فى مسائل يلزم لها التكتم لدقتها البالغة . وقد أيدت جميع المصادر تلك السمعة التى ذاعت عنك . فكن فى حجرتك فى الموعد المحدد ، ولا يزعجنك أن ترى زائرك مقنعا بقناع يحجب وجهه
فلما فرغت من تلاوة الرسالة قلت متعجبا :
— يا له من غموض مشوق !. وما رأيك أنت فى هذا الكلام ؟
— لم أكوّن رأيى بعد . . ومن الخطأ أن يتسرع المرء فيظن الظنون قبل أن تتوافر له الأدلة للحكم من القرائن المادية أو العقلية الثابتة . فان الانسان إذا كون فكرة عامة قبل استكمال الأدلة حرى أن يلوى عنق الوقائع كى تطابق فكرته ، بدلا من أن يؤسس فكرته على تلك الوقائع . وهذه علة أخطاء معظم الناس . ولكنى أحب أن أسألك عما تستنتجه من هذه الورقة فى حد ذاتها

فرحت أتفرس فى الورقة وفى الخط ، ثم قلت وأنا أجتهد فى تقليد خطة صديقى فى الاستنتاج :
— يلوح لى أن كاتب هذه الرسالة رجل ميسور الحال . . فهذا النوع من الورق غال جداً ، لأنه سميك وصلب بشكل غير عادى . . .
فقال هولمز باسما :
— « غير عادى » . هذه هى الكلمة بالضبط . . فهذا الورق يا صديقى

ليس صناعة انجليزية . . ارفعه قليلا فى مواجهة النور وانظر جيداً

فامتثلت بأمره ، فقرأت حرف E كبيراً وبجواره حرف g صغيراً . ثم حرف G كبيراً وبجواره حرف t صغيراً ، وذلك فى نسيج الورقة نفسها ، فلما قلت لهولمز ذلك قال لى :

— وماذا تستنتج يا واطسن من ذلك ؟

— هذا اسم الصانع طبعا . أو ماركته . .

— كلا . ليس ذلك صحيحا على الاطلاق . .

— ماذا ترى أنت إذن ؟

— إن Gt هى اختصار كلمة شركة باللغة الألمانية . أما Eg فتعال نفتح دائرة المعارف العامة . . .

وتناول تلك الدائرة وقلب فيها ثم قال :

— آه ! . Eg هى اختصار « ايجريا » ، وهى بلدة تتكلم اللغة الألمانية فى اقليم بوهيميا ، غير بعيدة من مدينة كارلسباد . وهى مشهورة بمصانع الزجاج والورق الفاخر . . فماذا تستنتج من هذا يا صديقى ؟

ثم أطلق من غليونه حلقة دخان زرقاء كبيرة علامة على الانتصار . فقلت :

— إحم ! أستنتج من هذا ان الورقة مصنوعة فى بوهيميا

— بالضبط ! وان كاتب الخطاب ألمانى

— وما دليلك على ذلك ياهولمز ؟

— انطريقة تركيب الجمل ، وأسلوب الكتابة لايدل على مزاج لاتينى ولا بريطانى . وبقى علينا الآن أن نعرف ماذا يريد منا ذلك الألمانى الذى يكتب على ورق صنع فى بوهيميا ، والذى يفضل حين يزورنى للاستشارة أن يضع على وجهه قناعاً . . ولكن لا أحسب انتظارنا سيطول ، فهذا هو قد أقبل ، إذا صحت ظنونى

وطرق سمعي في تلك اللحظة صوت وقع حوافر جياد وصوت عجلات تقف أمام الباب ، وتلت ذلك رنة جرس الباب ، فصفر هولمز وقال :

— ان الصوت يدل على أن العربة يجرها جوادان ..

ثم نظر من النافذة وقال :

— فعلا ! عربة فاخرة صغيرة الحجم ، وزوج من الجياد الرائعة الجمال الباهظة الثمن . فلا شك ياوطسن ان القضية وراءها أتعاب طيبة ، إذا لم يكن فيها لذة

— أعتقد ياهولمز انه يحسن بى الآن أن أنصرف

— كلا ياوطسن . ابق حيث أنت

— ولكن الزبون يشترط التكتم ..

— لا تكترث له . فقد أحتاج لمعونتك . وقد يحتاج اليها هو أيضاً . وها هو ذا قد وصل . فاجلس يادكتور ، وأعرنا اهتمامك كله

وسمعنا وقع خطوات ثقيلة بطيئة تصعد السلالم وتجتاز الردهة ثم تتوقف أمام الحجرة مباشرة ، وطرق الشخص الباب طرقاً عالياً ، فقال هولمز :

— ادخل !...

فدخل علينا رجل يزيد طوله على ستة أقدام ونصف ، ولا يقل عن المترين إلا ببضع سنتيمترات ، في قوة هرقل . وأما ملابسه فمن نوع فاخر جداً ، بحيث يعد في الذوق الانجليزى ترفاً نابياً . وأما العباءة الزرقاء التى تغطى بدلته فبها خطوط حمراء في لون اللهب ، ويمسك طرفيها عند عنقه دبوس به فص هائل من الياقوت . وأما حذاؤه فمغطى بطبقة من الفراء الثمين البنى اللون . وكانت في يده قبعة عريضة الأطراف .. وفوق وجهه الضخم قناع من المخمل أسود اللون ينسدل إلى الفم ، وكان يبدو من فكه انه رجل قوى الشخصية عنيد

ووقف بعتبة الباب ثم قال بلهجة ألمانية ظاهرة وهو ينقل النظر بيننا كأنه لا يدرى أينا هولمز :

— ألم تتلق رسالتى ؟ لقد قلت إننى سأحضر ...

فقال له هولمز :

— تفضل بالجلوس . هذا صديقى ومعاونى الدكتور واطسن . فمن الذى أتشرف الآن بخطابه ؟

— لك أن تدعونى باسم الكونت فون كرام . من نبلاء بوهيميا . والمفهوم ان صديقك هذا الجالس من أهل الشرف والكتمان ، فالموضوع الذى سأتحدث اليك فيه الآن على أعظم جانب من الأهمية والسرية .. وكنت أفضل أن نتباحث فيه على انفراد ...

فنهضت كى أنصرف ، ولكن هولمز أمسكنى من ذراعى وأجلسنى قائلا :

— فى وسعك أيها الكونت أن تقول أمام هذا السيد كل ما تريد أن تقوله لى

فهز الكونت كتفيه العريضين وقال :

— إذن لم يبق أمامى إلا أن أفتح الموضوع . فأوصيكما أولا بالتكتم الشديد لمدة سنتين من هذا التاريخ ، وبعد ذلك يكون الأمر عديم الخطر . أما الآن ، فالمسألة من الخطر بحيث لا أبالغ إذا قلت انها تؤثر فى مجرى التاريخ الأوربى المعاصر . فهل تعدانى بذلك ؟

فوعده هولمز ، وتلوته أنا فى الوعد .. فاستطرد :

— أرجو أن تغفر لى هذا القناع ، فان الشخصية العظيمة التى كلفتنى بالاتصال بك يامستر هولمز لاستشارتك ترغب فى أن يظل رسولها مجهولا حتى منك ، زيادة فى الاحتياط . ولا حاجة بى إلى اخفاء ان اللقب الذى قدمت نفسى لك به ، ليس لقبى الحقيقى

— لقد أدركت هذا من بادىء الأمر

— وذلك يا مستر هولمز لأن الظروف التى تكتنف موضوعنا ظروف شائكة جداً ، ولو كشفت وذاعت لنجمت عنها فضيحة كبرى تتأثر بها أسرة من

الأسر الحاكمة فى أوربا الآن .. فالموضوع له صلة ببيت أورمشتاين ، وهو الوارث الشرعى لعرش مملكة بوهيميا

— وهذا أيضاً أدركته من أول الأمر ياسيدى.

ثم جلس هولمز وأغمض عينيه علامة على الاصغاء ، أما زائرنا فحملق فيه من فتحتى قناعه بنظرة تدل على الدهشة البالغة ، ففتح هولمز عينيه ببطء ونظر إلى الزائر نظرة تدل على نفاد الصبر وانتظار بقية القصة ، وقال له :

— لو أن جلالتكم تنازلتم ببسط موضوعكم لتيسر لى تقديم مشورتى !

فقفز الرجل من مقعده كالمذعور وراح يتمشى فى الحجرة ، ثم وقف ونزع القناع عن وجهه بحركة استسلام قائلا :

— صدقت ! فأنا الملك فعلا .. ولماذا أخفى عنك هذا ؟

فقال هولمز بأناة وتهكم خفى :

— ولماذا تخفى ذلك حقاً ؟ فانك لم تبدأ الكلام معى حتى أيقنت سلفاً انك « ولهلم جوتشرايش سيجسموند فون أورمشتاين » غراندوق كاسل فالشتاين ، وملك بوهيميا بحق الميراث الشرعى !

فجلس الملك ومر بيده على جبهته العريضة وقال :

— ولكنك مدرك طبعاً انى لم أتعود أن أصرف مثل هذه الأمور بنفسى دون وسيط . ولكن المسألة من الخطر بحيث لم آمن عليها وسيطاً ، حتى لا أغدو تحت رحمته إن عرف سرى .. فقدمت متنكراً من براغ لاستشارتك

فأغمض هولمز عينيه ثانية وقال :

— إذن تفضل واستشر !

— المسألة باختصار انه منذ خمس سنوات أقمت فى مدينة وارسو اقامة طويلة ، فتعرفت على امرأة مغامرة معروفة اسمها «ايرين آدلر» ولا أظن هذا الاسم إلا انه معروف لك جيداً

فقال لى هولمز دون أن يفتح عينيه :

— أرجو منك يا واطسن أن تنظر فى أرشيفى وتفتش عن هـذا الاسم

وكان هولمز قد درج فى سنوات طويلة أن يرتب أرشيفاً خاصاً عن كل شىء وكل شخص يرد له ذكر فى الصحف ، حتى صـار من العسير أن يذكر الانسان اسماً من الأسماء ولا تجد لذلك الاسم ذكراً فى أرشيفه الضخم . وقد وجدت بطاقة ايرين آدلر وأعطيته إياها ، فنظر فيها وقال :

— ولدت فى نيوجيرسى فى سنة ١٨٥٨ . مغنية أوبرا جيدة . غنت فى الاسكالا بميلانو وكانت المغنية الأولى فى أوبرا وارسو . واعتزلت الفن وأقامت فى لندن ...

ثم رفع عينيه وخاطب الزائر قائلا :

— لقد اتصلت جلالتك إذن بهذه الشابة ، وكتبت اليها خطابات مثيرة ، وأنت الآن تريد استرداد هذه الخطابات ..

— بالضبط . ولـكن كيف عرفت ..؟

— وهل تزوجتها سراً زواجاً عرفياً ؟

— كلا . لم يحدث شىء من هذا

— وهل لديها وثائق أو أشياء رسمية ؟

— كلا .. ليس لديها شىء من ذلك

— إذن لست أفهم مراد جلالتكم . فان هذه الشابة إن هى أبرزت خطابات جلالتكم لم يكن فى وسعها أن تثبت صحتها ..

— ولـكنها بخطى ...

— لا عليك !.. نطعن بالتزوير ..

— وعلى ورقى الخاص .!

— مسروق !..

— وعليها شعارى مختوماً ..

— مقلد .!

ـــ وصورى .!

ـــ مشتراة من المصور .!

ـــ كنا معاً فى الصورة .!

ـــ هذا أمر سىء حقاً . لقد تورطت جلالتك فى غلطة جدية ..

ـــ لقد كنت مجنوناً .. معتوهاً ..

ـــ لقد ورطت نفسك بهذه الصورة حقاً

ـــ لقد كنت يومئذ ولى العهد ليس غير . وكنت حديث السن ، فأنا لا أعدو الثلاثين من عمرى فى يومنا هذا

ـــ لابد ياصاحب الجلالة من استرداد هذه الصورة

ـــ لقد حاولنا وفشلنا

ـــ لابد بأى شكل وبأى ثمن . اشترها ياصاحب الجلالة ..

ـــ لقد رفضت البيع ..

ـــ لابد من سرقتها إذن .!

ـــ لقد حدثت خمس محاولات لسرقتها باءت كلها بالفشل التام . فقد اقتحم اللصوص مسكنها مرتين بتحريض منى فلم يجدوا الصورة . واختطفنا حقائبها وهى مسافرة مرة فلم نجدها فيها .. واختطفناها شخصياً مرتين فلم نجد الصورة فى حقيبة يدها ولا فوق صدرها ..

ـــ ألم تهتدوا إلى أى علامة تدل على وجودها ؟

ـــ كلا .. لم نهتد مطلقاً ..

فضحك هولمز وقال :

ـــ يا لها من مشكلة صغيرة مسلية !

فقال الملك بلهجة تنم عن العتاب :

ـــ ولكنها بالنسبة لى جدية لا تسلية فيها على الاطلاق

— طبعاً طبعاً . جدية جداً ولا شك ياصاحب الجلالة . ولكن ماذا تظنها ستصنع بها ؟

— تحاول تحطيمى .!

— ولكن كيف ذلك ..

— انى على وشك أن أتزوج ..

— هل سمعت بهذا فعلا ؟

— وخطيبتي هى كلوتيلد لوتمان فون ساكس منجين ، الابنة الثانية لحضرة صاحب الجلالة ملك اسكندنافيا . ولعلك تعلم شدة تمسك هذه الأسرة العريقة بالتقاليد والمبادىء القويمة . فلو ظهر ظل من الشبهة حول مسلكى فيما مضى ، لكان فى ذلك القضاء المبرم على مشروع الزواج

— وبماذا تهددك ايرين آدلر بالضبط ؟

— انها تهدد بارسال الصورة إلى أنسبائى . وأنا أعلم أنها ستفعل ، فأنت لا تعرفها كما أعرفها أنا وأعرف طبعها وعنادها . فهى صاحبة أجمل وجه ، ولكن لها عقل مجرب وقلب محارب وإقدام مقامر مغامر .. فاذا أنا تزوجت امرأة سواها ، فلن تعرف فى الكيد والانتقام حداً تقف عنده ...

— وهل أنت متأكد أنها لم ترسل الصورة بعد ؟

— كل التأكد ...!

— وعلام بنيت هذا التأكد ؟...

— لأنها توعدتنى أن ترسلها فى اليوم الذى تعلن فيه الخطبة رسمياً ، حتى تكون الضربة أوقع والفضيحة أتم وأعم ! وموعد ذلك الاعلان الرسمى هو يوم الاثنين القادم

فتثاءب هولمز وقال :

— اذن لا تزال أمامنا ثلاثة أيام ... وهذا من حسن الحظ ، لأن بين يدى فى الوقت الحاضر مسألتين مهمتين عاجلتين . وهل تزمع جلالتك الإقامة

بلندن هذه الأيام ؟

— طبعاً . وستجدنى فى فندق لانجهام تحت اسم الكونت فون كرام

— اذن سأبعث إليك بكلمة أخبرك فيها بمدى تقدمنا

— أرجو منك أن تفعل ، فانى فى أشد حالات القلق

— والآن . ماذا عن النقود يا صاحب الجلالة ؟

— لديك تفويض كامل ... كارت بلانش ...

— بلا قيد ولا شرط ؟...

— انى مستعد للتنازل عن مقاطعة من مقاطعات مملكتى فى مقابل هذه الصورة

— وفيما يختص بالمصاريف حالياً ؟

وعندئذ تناول الملك من تحت عباءته كيساً من جلد الشاموا ثقيلاووضعه على المائدة أمام هولمز وقال :

— فى هذا الكيس ثلاثمائة جنيه ذهباً ، وسبعمائة من أوراق النقد ..

فكتب هولمز إيصالا بالقلم الرصاص وأعطاه إياه . ثم سأله :

— وعنوان الآنسة ؟

— بريونى لودج ، بشارع ساربنتين بغابة سان جون ...

فسجل هولمز ذلك العنوان ثم قال :

— سؤال أخير يا صاحب الجلالة . هل الصورة كارت بوستال ؟

— أجل ...

— اذن طاب مساؤك يا صاحب الجلالة . وأعتقد أننا سنحصل لجلالتكم على أنباء تسركم عما قريب ...

فلما انصرف الملك ، قال لى هولمز :

— وطابت ليلتك أيضاً ياواطسن ، وأرجو أن تمر غداً فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، لنتحدث فى هذا الموضوع المسلى ...!!

— ٢ —

وفى الساعة الثالثة تماماً كنت فى شارع بيكر ، ولـكن صديق هولمز لم يكن قد عاد بعد إلى مسكنه ، وأنبأتنى مدبرة البيت أنه غادر البيت فى الصباح بعد الساعة الثامنة ، فجلست إلى جانب نار المدفأة أنتظر عودته مهما طال بى الانتظار

وأوشكت الساعة أن تتم الرابعة حين انفتح الباب ودخل سائس من سواس الخيل ، فى حالة سكر شديد ، يترنح فى مشيته ، وقد تشعث شعر لحيته النامية ، وتمزقت ملابسه وتلطخت بالأوساخ . ولما كنت قد تعودت من صاحبى قدرة خارقة على التنكر المتقن ، فقد تفرست فيه مثنى وثلاث قبل أن أقطع الشك باليقين ، وأعرف فى ذلك السائس السكران صاحبى هولمز ..

وأومأ هولمز إلىّ محيياً ، ثم دخل حجرته الخاصة فلبث بداخلها خمس دقائق ، خرج بعدها مهندماً نظيفاً ، فجلس فى مقعده ومد ساقيه الطويلتين ، ثم أطلق من صدره ضحكة مجلجلة دامت بضع دقائق ، أردف بعدها قائلا :

ــ ان الأمر لعمرى مضحك جداً . وإنى لواثق من أنك لا يمكن أن تخمن كيف قضيت ساعات هذا الصباح ، وأى الأعمال قمت به

ــ صدقنى أننى لا أعلم ولا أستطيع تخيل ما كنت تقوم به بحالتك تلك. وإن كنت أظن أنك كنت تراقب بيت إيرين آدلر وعادات معيشتها

ــ هو ذلك فعلا . ولـكن الطريقة هى التى كانت شاذة غير مألوفة. فقد غادرت البيت بعد الساعة الثامنة بقليل فى زى سائس متعطل عن العمل. وبين خدام الخيل والسواس ومن إليهم رابطة تعاطف وتعاون وثيقة . فاذا كنت واحداً منهم ، وإن لم يعرفوك معرفة شخصية ، أمكنك أن تعرف منهم بسهولة

كل ماتريد معرفته . وقد استطعت أن أعرف موقع بريونى لودج ، وهو كما تعلم سكن ايرين آدلر ، بغير مشقة ، فوجدته فيللا أنيقة جداً كأنها جوهرة ، ذات حديقة خلفية كبيرة ، ولكن واجهتها ذات الطابقين تطل على الطريق مباشرة بغير فاصل . والجناح الأيمن من الطابق السفلى حجرة للجلوس كبيرة فاخرة الأثاث والرياش ، ذات نوافذ كبيرة تكاد تصل إلى الأرض ، وهى سهلة الفتح لا تستعصى على طفل .. ودرت حول البيت وفحصته فحصاً فنياً دقيقاً . وصح ما توقعته ، فقد وجدت للبيت اصطبلات فى الحارة الجانبية الملاصقة لسور الحديقة . فرحت أساعد السواس فى تطمير الخيل وتدليكها وغسلها وتلميع جلدها بمهارة وجد . وحصلت فى مقابل ذلك على بنسين أجراً لى ، ونصف لتر من الخمر الرديئة ، وملء غليونى مرتين من التبغ الرخيص . وحصلت فوق ذلك على ما لم يحتسبه هؤلاء من أجرتى ، ألا وهو معلومات ضخمة جداً عن ايرين آدلر ومعيشتها ، وعن عشرات غيرها من سكان تلك المنطقة، تطوعوا بالقائها فى أذنى دون طلب منى

— وماذا عرفت عن ايرين آدلر ؟

— أوه . لقد فتنت هذه الغانية كل رجال الحى ، وأدارت رؤوسهم ، فهى أحلى وأرشق امرأة فوق هذا الكوكب على حد تعبير جميع سواس الخيل فى شارع سربنتاين . وهى تعيش عيشة هادئة جداً ، وتغنى فى الحفلات الخاصة، وتخرج فى عربتها فى الساعة الخامسة بعد ظهر كل يوم لتعود فى تمام السابعة كى تتناول عشاءها . ويندر جداً أن تخرج فى غير ذلك الوقت إلا لسهرات الغناء . ولا يزورها من الرجال إلا شخص واحد، ولكن هذا الشخص كثير التردد عليها . وهو رجل وسيم جداً ، أسود الشعر ، أنيق ، لا يزورها أقل من مرتين فى كل يوم ، ولكن الغالب أن يزورها مرتين فى الصباح والمساء. وهو يدعى جودفرى نورتون وصناعته محام. وكثيراً ما أوصله هؤلاء السواس الى بيته ، فهم يعرفون كل شىء عنه

— هذه معلومات ثمينة جداً

— أجل . ولما عرفت منهم كل ما أريد معرفته وزيادة ، تركتهم ورحت أتمشى حول البيت ، مفكراً فى خطة العمل . واتضح لى أن هـذا الجودفرى نورتون عامل جوهرى فى المشكلة ، ذلك لأنه جميل ، ولأنه محام . وهذا موضع الإشكال الأكبر

— ولماذا ؟...

— طبعاً . فمـا علاقته بحسنائنا بالضبط ؟ أهو الحبيب ، أم هو المحامى الوكيل ، أم هو الاثنان معاً ؟ فلو أنه وكيلها القضائى فحسب ، فمن المرجح أن تودع الصورة لديه . وإن كان عشيقها ، فيستبعد أن تودع لديه صورة عشيق سابق . وعلى حل هذا الإشكال يتوقف كل شىء، وهل أهاجم بيتها ، أو أنقل ميدان الهجوم الى بيت جودفرى نورتون أو مكتبه

— هذا صحيح . وبعد ؟

— وفيما أنا أتسكع أمام البيت متفكراً متحيراً ، وقفت عربة نزل منها شاب وسيم جداً ، أسود الشعر ، رومانى الأنف ، ذو شارب أنيق ، فأيقنت أنه صاحبنا . وكانت تبدو عليه العجلة الشديدة ، فقد صرخ فى السائق أن ينتظر ، ولما فتحت الخادمة الباب اندفع داخلا بدون توقف،شأن رب البيت. ومكث بالداخل زهاء نصف ساعة . وكنت أراه من خلال النافذة يتمشى فى حجرة الجلوس فى حركة عصبية ويشير بيديه وهو يتحدث فى حدة . أما هى فلم أرها ، ثم اندفع خارجاً من البيت فى عجلة أشد من تلك التى حضر بها . ولما وضع قدمه فى العربة ــ وكانت عربة أجرة ــ أخرج من جيبه ساعة ذهبية نظر فيها ثم قال للسائق بصوت عال : « سق العربة سوق الشياطين ، واذهب أولا الى محل جروس وهانكى فى شارع ريجنت ، ثم الى كنيسة سان مونيكا فى طريق ادجوير . ولك نصف جنيـه إذا أوصلتنى الى غايتى فى عشرين دقيقـة » . . . وانطلقت العربة بسرعة الشيطان ، ووقفت أنا متحيراً هل

أتابع العربة وألاحقها ، أو أبقى حيث أنا ، وإذا بعربة أنيقة جداً تنحدر من الحارة الجانبية ، والسائق لم يتم بعد إحكام زيه الرسمى، وما وقفت العربة أمام الباب حتى انطلقت منه ايرين آدلر وقفزت داخل العربة ، وصاحت بالسائق : « الى كنيسة سان مونيكا ياجون . ولك نصف جنيه ذهباً إذا أوصلتنى فى عشرين دقيقة » . فانتهت حيرتى ، إذ تعين أن ألاحق هـذا الصيد المزدوج يا واطسن . وكل الإشكال قد بات لا يعدو الموازنة بين الجرى ، أو التعلق بعربتها من الخلف ، أو البحث عن عربة أكتريها . وفى هذه اللحظة مرت عربة أخرى فقفزت فيها وقلت للسائق المبهوت لزراية ملابسى : « نصف جنيه ذهباً إذا أوصلتنى الى كنيسة سان مونيكا فى عشرين دقيقة ». فأسرع السائق يلهب الخيل ، فلما وصلت وجدت العربتين السابقتين أمام الباب ، فدخلت الكنيسة ، ووجدتها خالية إلا من صاحبينا ، ومعهما قسيس رأيته يتناقش معهما فى اهتمام ، فتلكأتِ فى ركن أتظاهر بالصلاة شأن أى متعبد تقى صاحب نذر ، وما كانت أعظم دهشتى حين رأيت الثلاثة ينظرون نحوى ، ثم أسرع جودفرى نورتون إلىّ وهو يهتف : « الحمد لله ! إنك والله تصلح، فتعال ! » فسألته : «أصلح لماذا ؟ ماذا هناك ؟» فقال وهو يجذبنى من كمى : «تعال فقط. تعال ! لن نعطلك أكثر من ثلاث دقائق ، فبدونك لا يصح العقد »... وإذا بى أتبعه ، وأجد نفسى أشهد على عقد زواجه من ايرين آدلر مدلياً بشهادتى كما يهمسها نورتون فى أذنى ، ثم دس فى يدى جنيهاً ذهبياً ، سوف أعلقه فى سلسلة ساعتى تذكاراً

— هذا اتجاه غير منتظر لسير القضية . . ثم ماذا ؟

— ثم تبين لى أن مهمتى مهددة بالفشل جدياً ، لأن العروسين قد يفكران فى الرحيل فوراً لقضاء شهر العسل فى مكان ما . فلابد من العمل بسرعة قبل أن يفوت الأوان ولا تنفع الحيلة .. وقد رأيتهما يفترقان عند باب الكنيسة، وقد كانت كلمتها الأخيرة له: « سأتنزه فى عربتى فى هايدبارك عند الخامسة كالعادة».

فانصرفت أنا لأعد ترتيباتى

— وما هى ؟...

— زجاجة بيرة وطبق بفتيك . فقد كنت جوعان بعد أن فاتت ساعة غدائى ، وبعد هذا اتضح لى أننى قد أحتاج لمعونتك يا دكتور

— هذا من دواعى سرورى ولا شك

— وهل يهمك كثيراً ألا تخرق القانون ؟

— لا يهمنى مطلقاً ...!

— ولو تعرضت لخطر القبض عليك ؟

— كلا .. ما دامت القضية تستحق هذه المخاطرة

— كنت واثقاً انه فى استطاعتى أن أعتمد عليك

— وما تعليماتك بالضبط ؟

— الساعة الآن تقرب من الخامسة . ويجب أن نكون فى ميدان المعركة بعد ساعتين ، لأن « السيدة » ايرين تعود من نزهتها فى السابعة . ويجب أن نكون فى بريونى لودج كى نستقبلها عند عودتها

— ثم ماذا ؟

— واترك الباقى لى . فقد رتبت سلفاً ما سيحدث ، وأهم شىء يجب أن تحرص عليه ، ألا تتدخل مهما حدث . أفاهم أنت ؟

— أتعنى أن أقف على الحياد التام ؟

— كل الحياد . فلا تفعل شيئاً . وقد تحدث مشاجرة عنيفة ، فلا تتدخل ، وستنتهى المشاجرة بجرحى ونقلى إلى البيت . وبعد خمس دقائق تقريباً ستفتح نافذة حجرة الجلوس ، فاذا رأيتها قد فتحت فقف بجوارها تماماً

— فهمت .. وبعد ؟

— وسترقب حركاتى داخل الحجرة ، فمتى رأيتنى أرفع ذراعى إلى أعلى ،

اقذف داخل الحجرة ما سأعطيك إياه ، ثم تصرخ مستغيثاً : «النار ! النار !». أفاهم أنت ؟

— تمام الفهم . وبعد ؟

— ولا تقلق ، فالمسألة ليست خطيرة . وإنما هي قنبلة دخان بسيطة . وبعد أن تستغيث سيتجمع الناس ، وحينئذ تتسلل أنت إلى نهاية الشارع حيث ألحق بك بعد عشر دقائق .. فهل تستطيع القيام بهذا الدور ؟

— بكل سهولة ..

— عظيم . والآن أعتقد انه قد آن الوقت كي أعد نفسي لدوري الجديد

وقام هولمز فاختفى داخل حجرته بضع دقائق ثم خرج في ملابس وهيئة قسيس كاثوليكي طيب القلب ساذج النظرات ، حتى لا يظن الناظر اليه إلا أنه قضى طول عمره راهباً متعبداً

وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين غادرنا شارع بيكر ، وحين وصلنا إلى شارع سربنتاين كانت الساعة دون السابعة بعشر دقائق ، وقد بدأت ظلال المساء تخيم ، وأوقدت مصابيح الشوارع ونحن نتمشى أمام بريوني لودج في انتظار قدوم صاحبته . وقد وجدت البقعة كما صورها لي هولمز ، فيما عدا انني وجدتها في تلك الساعة غير مقفرة من المارة كما وصفها . فقد كان هناك حفنة من المتسكعين ، وسنان سكاكين بعجلته التقليدية ، وحارسان يغازلان مربية أطفال ذات دلال ، وبضعة شبان من ذوى الأناقة يتمشون وفي أفواههم لفائف الدخان

وقال لي هولمز ونحن نتمشى :

— الواقع ان هذا الزواج قد غير أوضاع الأمور تغييراً جوهرياً . فمما لا شك فيه ان صورة ايرين مع الملك قد باتت سلاحاً ذا حدين : فان خشيتها من اطلاع زوجها الجديد جودفرى نورتون عليها معادل لخوف الملك من اطلاع أنسبائه الجدد ، ولكن المشكلة الآن ياواطسن : أين يمكن أن نجد الصورة ؟

— حقاً . . أين ؟

— المرجح أنها لا تحملها معها فى تنقلاتها . وهى تعلم ان الملك قد جرب مرة تدبير مؤامرات لاختطافها وتفتيشها

— وإذا لم تحملها معها ، فأين تضعها ؟

— لدى محاميها أو فى البنك . وإن كنت شخصياً أظن انها لم تودعها عند هذا أو ذاك ، فالنساء من طبعهن الاحتفاظ شخصياً بممتلكاتهن السرية ، وخصوصاً انها لا يمكن أن تضمن مدى مايمكن أن تقتضيه السياسة الدولية من تأثيرات على المحامى أو مدير البنك . ثم علينا أن نتذكر انها قد قررت استخدام الصورة فى موعد غايته يومان ، فلا بد انها الآن على الأقل فى موضع تصل اليه يدها فوراً . يعنى فى بيتها

— ولكنك تعلم ياهولمز ان رجال الملك قد اقتحموا بيتها مرتين

— انهم مغفلون لايعرفون كيف يفتشون عن الأشياء

— ولكن كيف تفتش أنت ؟

— أنا لن أفتش

— ماذا ستصنع إذن ؟

— سأحملها شخصياً على أن تدلنى على موضعها

— ولكنها سترفض ولا شك

— سوف لايمكنها الرفض . اسمع . هذا صوت عجلات عربة . إنها عربتها . والآن اتركنى ونفذ تعليماتى بحذافيرها

وفيما هو يتكلم ظهرت أضواء العربة عند منحنى الشارع ، ثم وقفت أمام باب الفيللا . وعندئذ هجم أحد الأشخاص المتسكعين على باب العربة ففتحه طمعاً فى البقشيش . فهجم متسكع آخر ولكزه فى صدره ودفعه بعيداً ليفوز من دونه بهذا البقشيش . وهكذا نشبت بين الاثنين مشاجرة حامية ، تدخل فيها الحارسان اللذان انحازا معاً لأحد الخصمين . فتدخل سنان السكاكين

وانحـاز بحماسة للخصم الآخر . وبذلك وجدت السيدة ايرين نفسها فى وسط الشارع مركزاً لحلقة من الأوباش المتشاجرين

وعندئذ هجم هولمز ، أو بعبارة أصح القسيس الطيب ، ودخل فى وسط الحلقة كى يحمى السيدة الشابة . ولـكنه ما أن وصل اليها حتى صرخ ووقع على الأرض وقد غطى الدم وجهه وعينيه . فلما رأى المتشاجرون ذلك أسرعوا بالفرار ، وتدخل الشبان المتأنقون فالتفوا حول القسيس الجريح بعد أن كانوا يرقبون المعركة من بعيد . وصاحت ايرين بقلق :

ـــ هل جرح السيد المسكين جرحاً بالغاً ؟

فقال بعض الواقفين :

ـــ انه مات ...

ولـكن أحدهم صاح مؤكداً :

ـــ كلا كلا . انه لا يزال حياً ، ولـكنه سيقضى نحبه قبل أن يصـل إلى المستشفى

فقالت امرأة بتأثر ، وكانت هى مربية الأطفال المتبرجة :

ـــ انه شهم شجاع . فلولاه لخطف هؤلاء الأشرار حقيبة يد السيدة

وقال أحد الشبان :

ـــ انه من غير اللائق أن نتركه يموت فى الشارع . فهل تأذنين ياسيدتى أن ندخله إلى البيت ؟

ـــ طبعاً . ادخلوه حجرة الجلوس ، ففيها أريكة كبيرة مريحة . من هنا من فضلكم !

وبكل بطء وعناية حمل القسيس الجريح إلى داخل بريونى لودج ،وأضجعوه فوق أريكة حجرة الجلوس ، وأنا أرقب هـذه الاجراءات من خلال زجاج النافذة . واعترانى خجل شديد لم أشعر بمثله فى حياتى كلها وأنا أرى العطف والعناية التى تبذلها تلك الحسناء الفاتنة فى العناية بصاحبى الجريح فى الوقت الذى

ندبر فيه معاً وسيلة للايقاع بها . ولـكنى تجلدت وأعددت قنبلة الدخان فى يدى

ورأيت من خلال الزجاج هولمز يجلس فوق الأريكة ، ثم يلوح بذراعيه كمن يختنق ويطلب مزيداً من الهواء النقى ، فأسرعت الخادم وفتحت زجاج النافذة . وفى هذه اللحظة رأيت هولمز يرفع ذراعه إلى أعلى ، حسب الاتفاق ، فقذفت قنبلة الدخان داخل حجرة الجلوس ، ثم صرخت بأعلى صوتى :

— النار ! النار ! النجدة ! النجدة !

وإذا بجمع كبير يتلقف صرختى ويتجمع حول النافذة ، وقد خرجت منها سحب كثيفة جداً من الدخان . فتسللت من بين الزحام ووقفت عند طرف الشارع ، بعد أن سمعت صوت هولمز من الداخل يهدىء الناس ويطمئنهم انه دخان بغير نار . وبعد بضع دقائق لا تتجاوز العشر ، رأيت هولمز يضع يده فوق كتفى ويسرع بى لنبتعد عن المنطقة التى شهدت نشاطه

ورحنا نمشى بسرعة صامتين بضع دقائق ، إلى أن انحدرنا فى شـارع هادىء فقال :

— لقد نفذت العملية بكل دقة يا دكتور

— وهل حصلت على الصورة ؟

— لقد عرفت أين هى

— وكيف عرفت ذلك ؟

— لقد دلتنى هى على موضعها كما قلت لك من قبل

— إنى لا زلت أتخبط فى الجهل . ففسر

فضحك هولمز ضحكته المدوية وقال :

— لا أريد أن أخفى عليك سر المهنة . فقد كانت المسألة غاية فى البساطة . ولا شك أنك قد أدركت منـذ البداية أن جميع من كانوا فى الشارع من الشركاء المأجورين لى ، وأن المسألة كلها كانت تمثيلية من إخراجى وتأليفى

— أجل . أدركت هذا ولا شك . . .

— فلما احتدمت المشاجرة ، كنت قد أعددت قليلا من الطلاء الأحمر السائل فى راحة يدى ، فهجمت ، ثم صرخت ووقعت على الأرض ، ومررت يدى فوق وجهى فبدوت كالمجروح ، وهى كما تعلم حيلة قديمة . .

— وهذا أيضاً أدركته من تلقاء نفسى

— فلما حملونى إلى الداخل ، كما كان يجب أن يحدث بعد أن أشرفت على الموت بسببها ، أدخلونى حجرة الجلوس وهى الحجرة التى غلب على ظنى أن الصورة مخبوءة فيها ، فهى إما هناك وإما فى حجرة نومها ، وأضجعونى فوق الأريكة ، فلوحت فى طلب الهواء ، ففتحوا النافذة وبذلك لاحت فرصتك

— ولـكن ماذا استفدت من ذلك الحريق الوهمى ؟

— لقد كان ذلك الحريق الوهمى فى غاية الأهمية بالنسبة لقضيتنا . فان أول شىء تفكر فيه المرأة تفكيراً لا إرادياً حين تنشب النار فى بيتها ، هو أثمن ما لديها من الممتلكات ، فتتجه إليه لإنقاذه . فالأم تهرع الى طفلهـا . ومن ليست أما تهرع الى صندوق حليها . وكان واضحا فى حالتنا هـذه أن ايرين ستهرع إلى مكمن الصورة ، لأنها أثمن ما لديها فى البيت . وقد كانت صرخاتك يا دكتور ، وحلقات الدخان القوية المتصاعدة من القنبلة ، كافيـة لزلزلة أعصاب من الفولاذ . فاستجابت للحيلة ، واتجهت الى فجوة فى الحائط خلف لوحة زيتية كبيرة فوق زر الجرس على يمين الباب . وقد لمحت الصورة وهى تخرجها ، فصرخت أن الحريق وهمى ، وأن الدخان ليس من أثر النـار ، فأعادت الصورة إلى مكانها ، ثم هرولت خارجة من الحجرة فلم أرها بعدذلك

— ثم ماذا حدث ؟

— نهضت طبعاً معتذراً عما سببته من إزعاج ، وفكرت فى الاستيلاء على الصورة فوراً ، لولا أن الحوذى الخصوصى دخل الحجرة وراح يراقبنى بحذر ، فرأيت من الأوفق الانتظار حتى لا تتعرض الخطة كلها للانهيار

— والآن علام ولت ؟

ـ لقد انتهت مرحلة البحث . وسنتوجه غداً معاً ، وبصحبتنا الملك ، وطبعاً ستدخلنا الخادمة إلى حجرة الجلوس حيث ننتظر السيدة . ولكن الغالب أنها حين تدخل الحجرة سوف لا تجدنا ولا تجد الصورة . إذ لا شك أن جلالة الملك سيجد لذة خاصة فى استرداد الصورة بيده شخصياً

— ومتى ستكون تلك الزيارة ؟

— فى الساعة الثامنة صباحاً . وهى ساعة لا تكون قد نهضت فيها من النوم . وبهذا يكون الميدان خالياً أمامنا . ولكن يجب أن تكون على حذر ، لأن هذا الزواج ربما كان سبباً فى تغيير عاداتها . وسأبرق الى الملك فوراً للاستعداد

ووصلنا إلى شارع بيكر ، ووقفنا أمام الباب ريثما يخرج هولمز المفتاح من جيبه ، وإذا بصوت عابر سبيل يصيح من وسط الشارع المزدحم :

— طاب مساؤك يا مستر شرلوك هولمز

ولم نتبين فى الظلام والزحام صاحب التحية ، وقال هولمز متعجباً :

— لقد سمعت هذا الصوت من قبل . وإنى لأعجب من يكون ؟



— ٣ —

وقضيت تلك الليلة في شارع بيكر . فلما كان الصباح الباكر دخل علينا ملك بوهيميا ونحن جلوس الى مائدة الإفطار فقبض على كتفى هولمز وراح يحدق فى وجهه بلهفة قائلا :

— هل حصلت عليها حقاً ؟

— لدى أمل كبير

— اذن هيا بنا فانى قد نفد صبرى

— يجب أن نرسل فى طلب عربة أولا

— لا داعى لهذا . فلدى عربتي

— هذا ييسر الأمر كثيراً . فهيا بنا

وانطلقنا من فورنا إلى بريونى لودج . وفى الطريق قال هولمز للملك :

— لقد تزوجت ايرين آدلر

— تزوجت ؟! متى ؟

— أمس ...

— ممن ؟...

— من محام انجليزى اسمه نورتون

— ولكنها لا يمكن أن تحبه ...

— أما أنا فأرجو أن تفعل

— ولماذا ؟...

— لأن هذا يجنب جلالتكم كل خوف من مضايقاتها فى المستقبل . لأنه إذا كانت هذه السيدة تحب زوجها ، فهى إذن لا تحب جلالتكم . وإذا كانت

لا تحب جلالتكم فليس لديها داع للتدخل فى شؤون جلالتكم الخاصة

— ومع هذا ... كنت أرجو أن تكون من طبقتى ، فإنها تصلح للملك صلاحية تامة ...

وانقضت المدة الباقيه فى صمت إلى أن وصلنا بريونى لودج . ووجدنا أمام الباب امرأة عجوزاً ترقبنا ونحن ننزل من العربة بعين فاحصة ، فقالت :

— هل أنت مستر شرلوك هولمز كما أعتقد ؟

فنظر إليها هولمز فى دهشة وقال :

— أنا مستر هولمز

— أحقاً ؟ لقد قالت لى سيدتى إنك ربما حضرت . فقد رحلت هى فى ساعة مبكرة مع زوجها ، قاصدة باريس بقطار الخامسة صباحاً

فشحب وجه هولمز وتراجع منزعجاً وصاح :

— ماذا تقولين ؟ أتعنين أنها غادرت بريطانيا ؟

— الى غير رجعة ...

وقال الملك بصوت أجش :

— والأوراق ؟ لقد ضاع كل شيء ..!

فقال له هولمز وهو يدفع العجوز جانباً ويقتحم الباب :

— سوف نرى ...

وتبعه الملك وتبعته أنا الى حجرة الجلوس . فوجدنا الأثاث مبعثراً مما يدل على العجلة الفائقة التى لابست الرحيل . وهجم هولمز على الفجوة التى وراء اللوحة على يمين الباب فأخرج منها صورة وخطاباً

أما الصورة فكانت لإيرين آدلر وحدها ، فى ملابس السهرة. وأما الخطاب فكان مكتوباً على مظروفه « الى المحترم شرلوك هولمز حين حضوره »

وفض صديقى الغلاف ، وقرأنا ثلاثتنا الخطاب فى وقت واحد :

« عزيزى مستر شرلوك هولمز

« الحقيقة أنك أحكمت الخطة ، وتمكنت من خديعتى ، فانى لم أشك حتى بعد أن سمعت النذير بالحريق . ولكن عندما رأيت كيف كشفت سرى تحت ضغط الفزع راجعت نفسى وبدأت أفكر . فقد حذرونى منك منذ بضعة أشهر ، وقيل إن الملك إذا استخدم بوليساً سرياً فسيكون أنت ، وأعطونى عنوانك للتحرى والمراقبة . ومع هذا استطعت بحيلتك أن تعرف منى ما تريد . بل إنى حتى بعد أن شككت فى الموضوع وجدت صعوبة فى الارتياب فى ذلك القس الساذج الطيب القلب ، ولكنى كما تعلم ممثلة سابقة . لهذا خرجت من الحجرة وأرسلت الحوذى جون ليراقبك ثم صعدت فوراً إلى حجرتى ولبست ملابس الشبان ، ثم نزلت لأجدك قد انصرفت . فتبعتك مع صاحبك الى باب بيتك ، وعندئذ تأكدت من شخصيتك ولم أستطع مغالبة رعونتى فألقيت عليك تحية المساء من وسط الزحام ، ثم توجهت إلى مسكن زوجى ، الذى أشار بالرحيل العاجل للتخلص من خصم عنيد مثلك . أما الصورة فقل لموكلك إن له أن يطمئن . فانى أحب رجلا يحبنى ، هو خير فى نظرى منه . ففى وسع الملك أن يفعل ما يشاء دون خوف من تلك المرأة التى أساء إليها إساءة بالغة . وكل غرضى من الاحتفاظ بالصورة أن تكون سلاحاً دفاعياً تحت يدى يحمينى من عدوانه فى المستقبل . وقد تركت لك صورتى على سبيل التعويض

إيرين نورتون

آدلر سابقاً »

وعندئذ صاح ملك بوهيميا :

ـــ يا لها من امرأة ! ألم أقل لك إنها داهية أريبة ؟ وأليس من المؤسف أنها ليست من مستواى ، وإلا لكانت أعظم الملكات ؟

فكان جواب هولمز فى لهجة فاترة تنطوى على التهكم :

ـــ لاشك أنه مما بدر من هذه السيدة يتبين أنها من مستوى يخالف تمام المخالفة مستوى جلالتكم . ويؤسفنى أننى لم أستطع تحقيق مطلوب جلالتكم

فصاح الملك :

— بالعكس ، فانى أعرفها لا تخلف وعداً ، فالصورة الآن لا خطر منها كما لو كانت قد ألقيت فى النار

— يسرنى أن أسمع من جلالتكم ذلك

— وانى مدين لك ديناً كبيراً . فخبرنى كيف أكافئك ؟

ومد الملك أصابعه الى خاتم فى يده الأخرى كبير الحجم فانتزعه وقدمه الى هولمز

— شكراً يا صاحب الجلالة . إنها مكافأة ثمينة . ولكن هناك مكافأة أقيم فى نظرى من هذه

— اطلب ما شئت !

— هذه الصورة !

فحملق فيه الملك بدهشة وقال :

— صورة إيرين ؟.. هى لك

— شكراً . يا لها من تذكار . والآن وقد انتهت مهمتي طاب يومك

وانحنى للملك ثم استدبره منصرفاً



ذوو الرؤوس الحمراء

- ٢ -

أهم الأشخاص

- **الدكتور وطسن** : راوية القصة ومساعد هولمز
- **شرلوك هولمز**
- **المستر ويلسون** : صاحب محل رهونات . شيخ أحمر الشعر ساذج بدين
- **فنسنت سبولدنج** : كاتبه . شاب يعمل بنصف أجر ، مغرم بالتصوير الفوتوغرافى وشديد الذكاء
- **دانكان روس** : مدير مؤسسة رابطة ذوى الرؤوس الحمراء . نحيف الجسم أحمر الشعر حمرة فاقعة
- **بيتر جونز** : مفتش البوليس

زرت صديقي شرلوك هولمز ذات يوم من أيام الخريف الماضى على غير انتظار ، فوجدته مستغرقاً فى الحديث مع رجل بدين جداً ، أزهر الوجه ، متقدم فى السن . ولفت نظرى ان شعره كان أحمر قانياً بلون الجمر . وهممت أن أنسحب لأتركهما فى خلوة ، لولا ان هولمز جذبنى من يدى وأغلق الباب قائلا :

— لقد حضرت فى وقت الحاجة اليك . فهذا السيد هو المستر ويلسون

ثم التفت إلى مستر ويلسون وقال :

— وهذا يامستر ويلسون هو معاونى فى كثير من قضاياى الناجحة . ولا شك عندى انه سيكون ذا عون كبير لى فى قضيتك أيضاً . والآن اجلس ياوطسن وانتبه لما يقصه علينا مستر ويلسون ، فأنا أعلم أنك مغرم بالقضايا الغريبة. ويبدو ان قضية مستر ويلسون حافلة بالأسرار المثيرة . ولست أدرى حتى الآن إذا كانت وراء هذه القضية جريمة أم لا ، ولكنى واثق انها مهما كانت تافهة فهى حافلة بعناصر التشويق . وانى أدعو المستر ويلسون لاعادة القصة من أولها ، لا من أجل صديقى الدكتور وطسن ، بل أيضاً كى أستعيد بالتدقيق جميع التفاصيل

فانتفخت أوداج مستر ويلسون البدين الذى تبدو عليه جميع أمارات السذاجة ، ثم أخرج من جيب سترته جزءاً من صحيفة قديمة قذرة ، وراح يقرأ عامود الاعلانات ، ورحت أنا أتفحصه ، فأدرك هولمز مرادى من هذه النظرة الفاحصة وقال :

— فيما عدا اشتغاله ردحاً من الوقت فى العمل اليدوى ، وإدمانه السعوط (النشوق) ، وانتماؤه إلى الماسونية ، وقضاؤه بعض الوقت فى بلاد الصين ،

وانكبابه على الكتابة بشدة فى الأيام الأخيرة ، فيما عدا هذا كله لا أستطيع استنتاج أى شيء عنه

فلما سمع مستر ويلسون هذا الكلام قفز من مكانه محملقاً فى هولمز وقال :

— كيف استطعت بحق السماء أن تعرف هذه المعلومات يامستر هولمز ؟ كيف استطعت أن تعرف مثلا انى مارست حرفة يدوية فيما مضى ؟ فالواقع انى بدأت حياتى العملية بنجارة السفن

— يداك أخبرتانى بذلك أيها السيدالعزيز . فيدك اليمنى أكبر حجما بشكل ظاهر من يدك اليسرى . وذلك يدل على انهـا كانت تعمل بنشاط ، فنمت عضلاتها

— والسعوط ؟ والماسونية ؟

— لا حاجة بى كى أعرف ذلك سوى أن أرى آثار السعوط على أنفك يامستر ويلسون ، وعلى ياقة سترتك ، وأن أرى شارة الماسونية فى رباط عنقك

— لقد نسيت هذا

— لأنك تعودته فصرت لا تنتبه اليه

— وانهماكى فى الكتابة فى الأيام الأخيرة ؟

— وهل من تفسير غير هذا لذلك اللمعان الذى أراه يمتد خمس بوصات فوق طرف كمك الأيمن ، بالاضافة إلى نقطة الكوع اللامعة فى ذراعك الأيسر من أثر وضعه فوق المكتب ؟

— تماماً . والصين ؟

— ان هذه السمكة التى أراها موشومة فوق معصمك الأيمن بلون أحمر لا يمكن أن تكون قد نقشت إلا فى بلاد الصين ، واعلم يا مستر ويلسون انى درست بامعان أنواع الوشم المختلفة وتاريخه ، وألفت فى ذلك رسالة يوماً ما . ثم لا تنس ان سلسلة ساعتك تتدلى منها قطعة نقود صينية

فقهقه مستر ويلسون وقال :

— لقد ظننت أول الأمر انك أتيت أمراً خارقاً ، أما الآن فقد عرفت سر هذه الاستنتاجات !

فضحك هولمز ونظر نحوى نظرة ذات مغزى ، ثم قال للزائر :

— هل وجدت الاعلان يامستر ويلسون ؟

— نعم ها هو ...

وكان الاعلان هكذا :

« إلى ذوى الرؤوس الحمراء . بناء على وصية المرحوم حزقيال هوبكنز من بنسلفانيا فى الولايات المتحدة ، توجد برابطة ذوى الرؤوس الحمراء وظيفة شاغرة بمرتب أسبوعى قدره أربعة جنيهات نظير عمل اسمى . وجميع الرجال ذوى الرؤوس الحمراء ، ذوى الجسم السليم والعقل السليم ، لائقون لتلك الوظيفة بشرط أن تتجاوز سنهم إحدى وعشرين سنة ، والطلبات تقدم شخصياً يوم الاثنين القادم فى الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى دانكان روس فى مكاتب رابطة ذوى الرؤوس الحمراء ، رقم ٧ رحبة بوب بشارع فليت »



وبعد الفراغ من تلاوة هذا الاعلان مرتين قلت لهولمز :

— ما معنى هذا الكلام بحق السماء ؟

فقهقه هولمز وقال :

— شىء خارج عن المألوف حقيقة . أليس كذلك ؟ والآن يامستر ويلسون ، أرجو أن تخبرنا بالتفصيل عن نفسك وبيتك ونظام معيشتك ، وعن تأثير هذا الاعلان فى مجرى حياتك . وأرجو أن تسجل ياوطسن اسم الصحيفة وتاريخها

فسجلت ذلك ، وكانت الصحيفة هى المورننج كرونكل بتاريخ ٢٧ ابريل سنة ١٨٩٠ أى قبل تاريخ ذلك اليوم بشهرين . وأنشأ ويلسون يقول :

— المسألة كما سبق أن أوضحت لك يامستر هولمز أن لدى مكتباً صغيراً للرهونات فى ميدان كوبرج قرب وسط المدينة . والعمل فيه ليس مزدهراً ،

فلا يغل عليّ فى السنوات الأخيرة إلا الكفاف من معاشى المتواضع . وكنت فيما مضى أستعين بكاتبين ، أما الآن فليس لدى إلا كاتب واحد . وكنت حرياً أن أجد مشقة فى دفع مرتبه ، لولا أن هذا الشاب لا يتقاضى إلا نصف الأجر المستحق لمثله ، ويجد لذة فى العمل بهمة كى يتعلم أسرار المهنة ، لعله يفيد منها فيما بعد ...

فقال له هولمز وهو يتصنع عدم الاكتراث :

— وما اسم هذا الشاب الهمام ؟

— اسمه فنسنت سبولدنج . والواقع انه ليس شاباً بمعنى الكلمة ، إذ من الصعب تحديد عمره بالضبط . والواقع أيضاً انه همام حقاً ، فلا أمل لى فى مساعد خير منه يامستر هولمز . وأنا أعلم علم اليقين ان فى استطاعته الحصول على أكثر من ضعف المرتب الذى أدفعه له . ولكن ما دام هو قابلا ذلك الوضع ، ولا يطلب الزيادة ، فلماذا أفتح عينيه وأوحى اليه بالطمع ؟

— لماذا حقاً ؟ وانى لأراك سعيد الحظ فى هذه الناحية بشكل أصبح غير مألوف اطلاقاً فى هذا الزمن الأخير الذى يتشبث فيه العمال والأجراء بحقوقهم وزيادة أجورهم ، ولاسيما الشبان منهم .. وانى أرى ان مساعدك هذا شاذ بقدر شذوذ الاعلان الذى فى يدك ...

— على رسلك ! انه لا يخلو مع هذا من نقائص . فهو مجنون بالتصوير الفوتوغرافى ، وأراه يقضى فى التصوير وقتاً كان الأولى أن ينفقه فيما ينفع عمله وخبرته .. فليس أحب اليه من الهبوط إلى القبو تحت الأرض كالفأر ليحمض صورة أو يكبرها .. وذلك هو عيبه الأكبر ، أما فيماعدا هذا فهو مجد مهذب

— وهو لا يزال فى خدمتك على ما أعتقد ؟

— أجل ياسيدى . ومعه فتاة فى الرابعة عشرة تقوم باعداد الطعام والتنظيف ، وهذان هما الشخصان الوحيدان فى بيتى ومكتبى . فأنا رجل أرمل ولا ولد لى . ونعيش ثلاثتنا فى عزلة وهدوء عاكفين على عملنا المتواضع الذى

نقتات منه . وكان أول ما أخرجنا من هـذه العزلة هو ذلك الاعلان . فقد جاءنى سبولدنج ذات صباح منذ ثمانية أسابيع بالضبط وفى يده هـذه الجريدة بالذات وقال لى :

— كنت أتمنى على الله يامستر ويلسون أن أولد بشعر أحمر !

فقلت له متعجباً :

— ولماذا هذا التمنى ياسبولدنج ؟

— أتسألنى لماذا ؟ هـذا هو يا سيدى منصب جديد شاغر فى رابطة ذوى الرؤوس الحمراء . وهو منصب يكفل ثروة صغيرة لمن يحصل عليه . والواقع أن عدد المناصب التى تشغر فى هـذه الرابطة أكثر كثيراً من عدد اللائقين لها ، لهذا يجد المشرفون على التركة صعوبة كبيرة فى العثور على الشخص المطلوب ، ولا يدرون كيف يصرفون المال المتوفر لديهم . فلو كان شعرى أحمر اللون لهبطت علىّ ثروة من السماء

فسألته الايضـاح ، لأنى يا مستر هولمز رجل لا أبرح البيت ، ولاسيما أن عملى يجعل الناس يأتون إلىّ برزقى بدلا من أن أسعى أنا إلى هذا الرزق . . فربما قضيت الأسابيع المتوالية لا أخرج من عتبة البيت . ولذلك أجهل فى الغالب شئون العالم الخارجى ، وأرحب دائماً بكل المعلومات التى تأتينى عن الدنيا بالمجان !

وحملق مساعدى سبولدنج فى وجهى متعجباً لسؤالى وقال :

— أأنت حقاً يامستر ويلسون لم تسمع عن رابطة ذوى الرؤوس الحمراء ؟

فقلت له :

— أبداً . . .

— ما أعجب هذا ! فانك والله أصلح الناس لعضويتها

— وما جدوى هذه العضوية ؟ . .

— إيراد متواضع قدره مائتا جنيه ذهباً فى السنة ! والعمل مقابل هذا

الأجر عمل لا يذكر . ولا يقف حائلا دون قيام الانسان بأعماله الأصلية ...

وأنت تقدر طبعاً يا مستر هولمز أن هذا الحديث جعلنى أفتح أذنى جيداً ، وأهتم بهذه الصفقة الاستثنائية . . لأن حالة العمل عندى كانت تشكو الركود منذ مدة غير قصيرة .. فللمائتى جنيه ذهباً قيمة كبيرة فى هذه الحالة .. فطلبت إلى مساعدى أن يحيطنى بجميع التفاصيل ، فأطلعنى على هذا الاعلان وراح يقول :

— ها أنت ذا ترى يا سيدى من هذا الاعلان أن هناك منصباً خالياً ، وفى الاعلان العنوان الذى تتوجه إليه بطلبك . ومبلغ علمى شخصياً أن مليونيراً أمريكياً هوحزقيال هوبكنز كان رجلا شاذ الطباع والأفكار . وكان هو نفسه من ذوى الرؤوس الحمراء . وكان متعصباً فى حبه لكل ذى شعر أحمر . فلما مات وجدت وصيته فى غاية الغرابة ، فقد ترك ثروة كبيرة جداً رصدها لغرض غريب جداً هو تيسير معاش هين لكل ذى شعر أحمر نظير عمل سهل جداً

فقلت لمساعدى الشاب :

— ولكن ذوى الرؤوس الحمراء يعدون بالملايين

فضحك سبولدنج عندئذ وقال لى :

— إنه يشترط اللون الأحمر الفاقع ، وأن يكون المرشح من أبناء مدينة لندن ، فقد كان المرحوم صاحب الوصية من أبناء لندن وهاجر إلى أمريكا وأصاب ثروة ضخمة ، فلم ينس مسقط رأسه الذى عرف فيه الشقاء والجوع .. وأصحاب الشعر الأحمر الفاقع أو الجمرى نادرون جداً ، وأنت منهم يا مستر ويلسون

فهرشت رأسى متحيراً ، والواقع أننى كنت متلهفاً على المبلغ الدسم ، وخالجنى الطمع ، ولا سيما أن شعرى فعلا ذوصفات نادرة ، فلماذا لا أستغل ما وهبنى الله من مزية ضن بها على الكثيرين ؟ وكان فنسنت سبولدنج فى

الوقت عينه قد برع فى أداء العمل ، فيمكن الاعتماد عليه إذا قدر لى الفوز بهذا المنصب الدسم . وعلى هـذا أقفلنا المـكتب ، وتوجهت بصحبة سبولدنج إلى العنوان المذكور فى الاعلان ، فى الموعد المحدد بالضبط

والواقع يامستر هولمز انى شهدت عند اقترابى من العنوان المذكور منظراً لا أعنى أن أراه مرة أخرى . فمن الشمال والجنوب ، وعن اليمين والشمال ، كانت الرحبة والشوارع المؤدية اليها غاصة بكل ذى شعر يمت لونه إلى الاحمرار والحمرة بصـلة ولو ضئيلة ، ابتداء من الأشقر والأصفر الذهبى إلى اللون الـكستنائى القاتم ، جاءوا كلهم استجابة لذلك الاعلان . وانى والله لم أكن أظن ان بين أبناء لندن كل هذا العدد من ذوى الشعر المحمر ، ومن الافلاس أو الفاقة بحيث يسيل لعابهم لذلك العمل .. ولـكن سبولدنج كان صادقاً كل الصدق حين قال لى انه يندر أن يوجد من له شعر صادق الحمرة فاقعها ، فى لون الجمر الملتهب . ومع هذا فقد أوشكت حين رأيت ذلك الزحام الهـائل على وظيفة واحدة أن أيأس ، فربما تقدم لها من ذلك الزحام من يراه أصحاب الشأن كفئاً للشروط ، فيتولى العمل ، وتضيع فرصتى . وهممت أن أرجع إلى بيتى ، لولا أن فنسنت سبولدنج حسم الأمر . ولست والله أدرى كيف تمكن من فعل ما فعل . فقد راح يدفع النـاس عن يمين وعن شمال ومن قدامنا دفعاً متواصلا سريعاً عنيفاً ، فما هى إلا جولة بعد أخرى حتى وجدت نفسى فى مقدمة الصفوف ، أمام السلم الذى يفضى إلى مكتب المؤسسة مباشرة . وكان فوق السلم صفان من الناس ، أحدهما للمتقدمين يحدوهم الأمل والطمع ، والآخر للمرفوضين تقطر من وجوههم ونظراتهم الحسرة .. وسرعان ما وجدنا نفسينا داخل المـكتب . ولم يكن فى المـكتب شىء ذو بال ، فكل ما فيه مقعدان من الخشب ، ومائدة للـكتابة يجلس اليها رجل ضئيل الحجم ، ولـكن شعره والحق يقال أشد حمرة واتقاداً من شعرى . وكان هـذا الرجل يلقى إلى كل متقدم نحوه بكلمة أو كلمتين ، إذ كان يجد على الدوام عيباً فى كل رأس توضع بين يديه . فلما حان

دورنا ، هش لى الرجل على غير عادته مع الآخرين ، وأقفل الباب واختلى بنا ، تاركا الناس فى الخارج . فقال له مساعدى فنسنت سبولدنج :

— هذا هو المستر ويلسون ، ولا مانع لديه من شغل المنصب الخالى لديكم فى الرابطة

فقال الرجل على الفور :

— وهو لعمرى صالح له تمام الصلاحية فيما يبدو لأول وهلة

ثم تراجع الرجل إلى الوراء خطوتين ، ومال برأسه إلى اليمين ثم إلى اليسار ، وهو يمعن النظر فى وجهى وشعرى ، حتى شعرت بالحرج ، ثم قفز فجأة وتناول يدى فشد عليها بحرارة وقوة عظيمتين قائلا :

— أهنئك ياسيدى ، فمن الافتئات أن يتردد الانسان فى الاعتراف بصلاحيتك . ولكن اغفر لى اضطرارى إلى اتخاذ إجراء احتياطى لاستكمال الاختبار النهائى ..

ثم إذا به يقبض على شعرى ويجذبه جذبة قوية ، حتى خلت انه سينخلع فى يده . وصرخت صرخة شديدة ، وملأت الدموع عينىّ ، فضحك الرجل ضحكة الارتياح وفرك يديه قائلا :

— أراك قد دمعت عيناك ألماً . . عال . . عال ! هذا دليل على أن شعرك طبيعى غير مستعار . ولا تؤاخذنا ، فاننا نتعرض لكثير جداً من ألوان الغش والخداع ، وقد انطلت علينا خدعة الشعر المستعار مرتين ، وخدعة الشعر المصبوغ مرة . أما الآن ...

ثم خطا الرجل نحو الباب ففتحه ، وأشار إلى الناس فسكتوا كأن على رؤوسهم الطير فقال :

— انصرفوا جميعاً ، فقد شغلت الوظيفة الشاغرة . وإلى فرصة قادمة ...

فارتفعت من الجمع المحتشد همهمة سخط ، ثم انصرف الناس متكاسلين ، فلم تبق فى البقعة كلها رأس حمراء فيما عدا رأسى أنا ورأس مدير المؤسسة

« دنكان روس » الذى عرفنى بنفسه ، ثم ذكر لى أنه من المستفيدين بوصية المرحوم ، وسألنى بعد ذلك :

— هل أنت متزوج يامستر ويلسون ؟ ألك أسرة ؟

فلما أجبته بالنفى ، ظهر على وجهه الاكتئاب لجأة وقال :

— هذه نقطة خطيرة حقاً . فان الغرض من المؤسسة هو العمل على نشر الشعر الأحمر والاكثار منه ، عن طريق التناسل . فمن المؤسف حقاً أن تكون عزباً

ولا أكتمك يامستر هولمز اننى شعرت بالحسرة عندئذ ، لأننى خفت أن تفلت الوظيفة من يدى بعد أن حصلت عليها بذلك الحظ الموفق . وفكر الرجل برهة ثم قال :

— ولكن لا بأس من التساهل معك يامستر ويلسون ، لأن لك شعراً عزيز النظير ، فمتى تبدأ فى العمل يامستر ويلسون ؟

فقلت له ان لدى عملى الخاص ، وأرجو ألا يتعارض العملان ، فربت على كتفى قائلا :

— لا بأس يا مستر ويلسون ، هذا أمر يسهل تدبيره

وتدخل فنسنت سبولدنج هامساً فى أذنى :

— لاتدع الفرصة تفلت منك ، ففى وسعى شخصياً أن أقوم بالعمل وقت غيابك !

فسألت مستر دانكان روس :

— وما مواعيد عملكم هنا ؟

— من العاشرة صباحاً إلى الثانية بعد الظهر

ولما كان معظم العمل فى مكاتب الرهون بعد الظهر ، فوقت الصباح وقت ضائع سدى على وجه التقريب ، فمن المستحب أن أستغل ساعات الصباح فى عمل سهل يغدق علىّ مرتباً طيباً ، بغير خسارة فى عملى . ويضاف إلى ذلك اننى أعهد

مساعدى سبولدنج مجداً هماماً فى عمله ، جديراً بتصريف كل أمر يجد فى تلك الفترة الصباحية ، ولهذا قلت لمستر روس :

— هذا الوقت يناسبنى جداً ، والمرتب ؟

— أربعة جنيهات ذهباً فى آخر كل أسبوع

— ونوع العمل يامستر روس ؟

— عمل اسمى شكلى ليس غير

— وماذا تعنى بالعمل الاسمى الشكلى يامستر روس ؟

— المهم أن تكون فى هذا المكتب طول وقت العمل ، فاذا غادرت البناء لحظة واحدة أثناء تلك الساعات ، فقدت وظيفتك فقداناً أبدياً على الفور . فالوصية صريحة فى التشدد من هذه الجهة فقط

فقلت له فى فرح :

— المسألة كلها لاتعدو أربع ساعات كل يوم ، فمن الممكن جداً ألا أفارق المكتب فيها

— وأنبهك سلفاً يامستر ويلسون إلى أن أى عذر مهما كان غير مقبول أصلا ، فلا المرض ، ولا الطوارىء ، ولا العمل الهام تنهض عذراً للتخلف عن الحضور ، أو للتأخر فى الوصول ، أو التبكير فى الخروج ، أو «التزويغ» أثناء ساعات العمل

— قبلت . ولكن ما هو العمل الذى سأؤديه على وجه التحديد يا مستر روس ؟

— أن تقوم بنسخ دائرة المعارف البريطانية . وهاك المجلد الأول منها ، وعليك أن تشترى الورق ، والحبر ، والأقلام ، والنشاف . أما نحن فلا نقدم إلا دائرة المعارف ، وهذا المكتب ، وهذا الكرسى . مفهوم ؟

— مفهوم جداً

— وهل أنت مستعد للابتداء منذ الغد ؟

— تمام الاستعداد ..

— اذن الى اللقاء حتى الغد يا مستر ويلسون . واسمح لى أن أكرر تهنئتى لك على هذا الحظ السعيد الذى واتاك إياه شعرك الفاخر

ثم شيعنى بكل احترام حتى البـاب ، فعدت الى البيت مع مساعدى سبولدنج وأنا لا أدرى ماذا أقول أو أصنع لشدة فرحى،فكأننى فى حلم سعيد. ورحت أستعيد الموضوع كله فى ذهنى طيلة ذلك النهار،واستولى علىّ الوسواس فى الليل فأرقت طول الليل . إذ خطر لى أن الأمر ربما كان خدعة أو وسيلة مبتكرة من وسائل الاحتيال والنصب. فقد بدا لى غير معقول أصلا أن أتقاضى مائتى جنيه ذهباً كل سنة لا لشىء إلا للحضور فى مكتب ما أربع ساعات كل يوم ، أنسخ فيهـا ما تيسر من دائرة المعارف البريطانية . ولاحظ فنسنت سبولدنج ذلك الأرق ، فتولى التسرية عنى وأقنعنى أنه ماذا يدفع أى انسان للاحتيال ، وماذا يفيدون من دفع هذا المال لى إن لم تكن هناك وصية حقاً . وأن كل هؤلاء المتقدمين الذين كانوا يسدون الرحبة والشوارع المؤدية إليها يعلمون تمام العلم صحة قيام المؤسسة ومدى احترامها وثبات مركزها . واقتنعت بكلامه،لأنى لم أجد نفسى خاسراً فى الصفقة على كل حال . فلما طلع النهار اشتريت زجاجة حبر ، وبضع أوراق من حجم الفولسكاب وقلماً حسن الخط ، وتوجهت الى المكتب . وشرح صدرى أن أجد المكان لم يتغير ، وأن أجد المكتب معداً لاستقبالى ، وأن يكون مستر دانكان روس حاضراً للاشراف على ابتداء العمل. فلما شرعت أنسخ الحرف « ا » من الدائرة ، تركنى وانصرف ، ولكنه كان يعود بين الفينة والفينة كى يتأكد أن كل شىء على ما يرام . فلما بلغت الساعة الثانية بعد الظهر أخرجنى وأغلق الباب شاكراً ، بعد أن هنأنى بحرارة على جودة خطى وسرعة كتابتى وأناقتى فى العمل

واستمر الحال على ذلك المنوال يوماً فى إثر يوم يا مستر هولمز ، إلى أن كان يوم السبت وهو كما تعلم نهاية الأسبوع: فنقدنى مستر روس أربعة جنيهات ذهباً صحاحاً ، كانت خير مقنع لى بجدية العمل واستقامته واحترامه !

وبمضى الوقت صار مستر دانكان روس أكثر ثقة بى ، فصار لا يحضر للمراقبة أو الاشراف إلا مرة في كل يوم ، ثم انقطع عن الحضور بعد ذلك معظم الأيام . ولكنى على كل حال لم أكن أجرؤ على مغادرة المكتب فى حدود المواعيد المقررة ، خشية حضوره فى أى وقت ، ومحافظة منى على هذه الدجاجة التى تبيض لى كل أسبوع بيضة من الذهب ثمنها أربعة جنيهات ذهبية رنانة ! لهذا لم أفكر فى المجازفة بذلك المورد العذب

ودام الحال على هذا المنوال مدة ثمانية أسابيع تباعاً ، كتبت فيها مئات الصفحات عن كل شيء وكل شخص يبدأ اسمه بالحرف « ا » ، حتي امتلأ رف كامل بالأوراق التى كتبتها . وعلى حين غرة توقف العمل بغير سابق إنذار

وعندئذ فقط زوى هولمز ما بين حاجبيه وسأل مستر ويلسون باهتمام :

— توقف العمل ؟..

— نعم يا سيدى . توقف تماماً

— ومتى ؟...

— هذا الصباح . فقد توجهت الى عملى كالمعتاد قبيل العاشرة ، ولكنى وجدت الباب موصداً بالمفتاح ، وقد ألصق عليه من الخارج لوح فوقه ورقة ، ها هى ذى ، تفضل بقراءتها بنفسك

وقدم الرجل بطاقة بيضاء كبيرة الحجم ، عليها ما يلى :

« تقرر حل رابطة ذوى الرؤوس الحمراء
منذ ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٠ »



ورحنا ، شرلوك هولمز وأنا ، نحدق فى الورقة ، وفى وجه الرجل الساذج البدين الوقور الحزين الذى كان ممسكا بها ، إلى أن غلبنا على أمرنا مافى الأمر من فكاهة فانفجرنا ضاحكين ، فاحتقن وجه الزائر غضباً واستياء حتى حاكى لون شعره وصاح :

— لست والله أرى فى الأمر ما يدعو إلى الضحك والسرور . . وإذا لم يكن فى وسعكما إلا الضحك علىّ ، فاتركانى أمضى لحال سبيلى !

ونهض الرجل ، ولكن هولمز رده إلى مكانه وطيب خاطره قائلا :

— كلا . كلا . لا تذهب ، فانى حريص على قضيتك هذه ، لأنها تبدو حافلة بالمسليات ، وخارقة للمألوف .. وكل ماهنالك أن فى المسألة — ولا تؤاخذنى فى ذلك — جانباً هزلياً إلى حد ما . فهلا ذكرت لنا الخطوات التى اتخذتها حين وجدت هذه البطاقة على الباب ؟

— لقد بهت يا سيدى حتى كدت أصعق

— هذا مفهوم طبعاً

— ولم أدر ماذا أفعل . فقد أسقط فى يدى ، ثم توجهت إلى المكاتب المجاورة بالسؤال عن أصحاب ذلك المكتب ، فلم أجد لديهم علماً بأى شىء عن رابطة ذوى الرؤوس الحمراء . وعندئذ توجهت إلى مالك العمارة ، وهو مراجع حسابى يسكن الطابق الأرضى . وسألته عما حدث للرابطة حتى تقرر حلها . فأكد لى أنه لم يسمع قط بمثل هذه الهيئة الموقرة . فسألته عن المستر دانكان روس ، فأكد لى أيضاً أنه لم يسمع فى حياته ذلك الاسم من قبل . فقلت له :

— وكيف ذلك . إنه مستأجر المكتب رقم ٤

فصاح المالك :

— هل تعنى الرجل ذا الشعر الأحمر ؟

— بعينه . . .

— ليس اسمه دانكان روس ، بل وليم موريس ، وصناعته محام ، وكان قد استأجر هذه الحجرة بمثابة مكتب مؤقت إلى أن يتم ترميم مكتبه الاصلى ، وقد تم ذلك أمس ، ففسخ العقد وانتقل إلى مكتبه

— وأين ذلك المكتب ؟

— أذكر أنه قال لى إنه فى ١٧ شارع الملك ادوارد ، قرب كنيسة سان بول

فأسرعت طبعاً إلى هناك ، ولكنى وجدت ذلك العنوان عبارة عن مصنع لسروج الخيل والبرادع ، ولم أجد فيه أحداً سمع قط بوليم موريس ولا بدانكان روس

فكتم هولمز الضحك وسأل ويلسون :

— فماذا صنعت عندئذ ؟

— توجهت إلى بيتى ، لأستطلع رأى مساعدى فنسنت سبولدنج ، ولكنى لم أجد عنده رأياً يخرجنى من حيرتى ، وكل مانصحنى به أن أتريث ، فلا بد أنه سيصلنى خطاب بالبريد يفسر لى ما يحيط بالموقف من غموض . . .

— وبعدئذ ؟ . .

— الواقع يا مستر هولمز أننى لم أطق صبراً على فقدان عمل دسم جداً مثل ذلك العمل ، ودون أن أبذل الجهد ، جهد المستميت ، فى الدفاع عنه والكفاح فى سبيل الابقاء عليه . ولما كنت قد سمعت بشهرتك يا مستر هولمز فى حل المعضلات الغامضة ومساعدتك للحيارى والمساكين أمثالى فى نكباتهم وورطاتهم ، فقد أتيت إليك مباشرة

فقال له هولمز فى رقة وتلطف :

— حسناً فعلت يا مستر ويلسون . فقضيتك طريفة جداً ، وسيسعدنى أن أهتم بها الاهتمام كله . وان ما سمعته منك يحملنى على الاعتقاد أن وراء ظاهرها البرىء آثاراً لا تبدو للناظر لأول وهلة ، وهى آثار قد تكون على أكبر جانب من الخطر

فصاح ويلسون محتداً :

— خطيرة جداً طبعاً ، وظاهرة جداً أيضاً لا خفاء فيها . أفلست قد فقدت أربعة جنيهات ذهباً كل أسبوع لا مقطوعة ولا ممنوعة ؟ !

فابتسم هولمز وقال له مهدئاً

— الحق انه فيما يختص بك يا مستر ويلسون لا وجه للغضب والحقد على هذه الرابطة ، فقد أفدت من ورائها ما يزيد على الثلاثين جنيهاً ذهباً فى أقل من شهرين ، واستفدت معلومات واسعة جداً لم تكن تتسنى لك لولا نسخ المجلد الأول من دائرة المعارف البريطانية . .

— ولكنى يا سيدى مصر على حقى كله . ولا يهدأ لى بال حتى أعرف حقيقة هؤلاء الناس . وما الدافع لهم على القيام بذلك الملعوب الغريب ، بحيث هان عليهم أن يدفعوا ثمناً له ذلك المبلغ الباهظ

— اطمئن يا مستر ويلسون ، فسوف نستجلى ذلك الموضوع ولكن لابد — قبل أن نبدأ البحث — من الجواب على سؤال أو سؤالين يا مستر ويلسون . فهل تسمح ؟

— طبعاً طبعاً . سل ما شئت يا مستر هولمز

— هذا المساعد . .

— فنسنت سبولدنج ؟

— نعم . أليس هو الذى لفت نظرك إلى الاعلان ؟

— نعم هو الذى لفت نظرى اليه

— كم كان له فى مكتبك عندئذ من المدة ؟

— نحو شهر . . .

— وكيف استخدمته ؟

— عن طريق الاعلان . . .

— وهل كان هو المتقدم الوحيد للوظيفة ؟

— بل كان هناك عشرات غيره

— ولماذا اخترته هو بالذات ؟

— لأنه حاذق ، ذكى . . ولأنه على الخصوص قبل أن يشتغل بنصف

الأجر الذى طلبه أمثاله من المتقدمين ، ممن هم أقل منه كفاءة للعمل

— وما شكل فنسنت سبولدنج هذا ؟

— قصير القامة ، متين البنية ، سريع الحركة ، أجرد لا ينبت له شارب ولا لحية ، وإن كان عمره لا يقل عن الثلاثين . وعلى جبهته أثر من حمض أبيض اللون

وعندما سمع هولمز هذه الأوصاف انتبه ، واعتدل فى مقعده ثم قال :

— هذا ما توقعته . وهل لم تلاحظ أن أذنيه بهما ثقبان ؟

— اى والله ! لقد لاحظت ذلك ، وقد حدثنى أن غجرية ثقبتهما وهو غلام

— وهل لا يزال هذا الرجل فى خدمتك ؟

— أجل . فانى غادرته فى المكتب منذ قليل حين حضرت إلى هنا لاستشارتك

— وهل أحسن القيام على أعمالك أثناء اشتغالك فى الرابطة هذه الأسابيع ؟

— لم يحدث منه أى تقصير يا سيدى

— هذا يكفى يا مستر ويلسون . ويسرنى أن أوفق إلى إبلاغك نتيجة أبحاثى فى موضوعك بعد يوم أو يومين



ولما خلونا ، سألنى هولمز قائلا :

— ما رأيك فى هذا الأمر يا واطسن ؟

فقلت له بصراحة :

— لا أخفى عليك أننى لم أفهم شيئاً ، فهذه والله قضية غامضة جداً

— فعلا . واعتقد أننى يجب أن أكون حازماً ، وأن أعمل بسرعة فى هذه القضية بالذات يا دكتور واطسن

— وماذا أنت صانع اذن ؟

— سأدخن يا عزيزى واطسن ، فهذه معضلة تحتاج الى ثلاثة غلايين على الأقل قبل أن أصل الى قرارها

ثم تكور هولمز فى مقعده ، وتناول غليونه، وقد اعتمد بذقنه على ركبتيه، وأغمض عينيه ، وكف عن كل حركة حتى كأنه نائم ، لولا حلقات الدخان الأزرق التي تتصاعد كثيفة من غليونه ، علامة على تمام يقظته ..

وبعد برهة صمت طويلة قفز هولمز من مقعده فجأة وقال لى :

— ما رأيك فى التوجه معى إلى مسرح سان جيمس هذا العصر ؟

— ليس لدى عمل ذو بال اليوم . فهيا بنا

— سنذهب على الأقدام مخترقين وسط المدينة ، وسنتغدى فى مطعم يصادفنا فى الطريق ...!

— ولكن لماذا نذهب إلى هذا المسرح بالذات ؟

— لأن فى برنامجه الليلة موسيقى ألمانية، وأنا أفضلها على الموسيقى الإيطالية أو الفرنسية ، لأنها أعمق ، ولأنها تساعد على التأمل والتفكير ، وأنا فى حاجة إليهما

وتبعته مذعناً ، فاذا به يقودنى إلى ميدان ساكس كوبرج ، حيث يقطن المستر ويلسون بطل قصتنا التى سمعناها . وقد وجدنا البناء فى بقعة هادئة ، من طراز عتيق جداً . ووجدنا على الباب لافتة تحمل اسم ويلسون بحروف بيضاء . فوقف هولمز أمام الباب ، وراح يتفحص البيت بنظراته الحادة البراقة، ثم راح يتمشى إلى البيوت المجاورة ويتفحصها أيضاً ، ثم عاد الى باب مستر ويلسون وطرق أرض الشارع بعصاه جملة طرقات متوالية وهو يصغى باهتمام، ثم دق جرس الباب ، ففتحه على الفور شاب ظاهر الذكاء ، حليق الوجه ، فدعاه للدخول ، ولكن هولمز قال فى لطف :

— شكراً لك . إنما أردت فقط أن أسأل عن الطريق من هنا إلى فندق ستراند

فقال الشاب بسرعة وهو يقفل الباب :

— ثالث شارع على اليمين ، ثم رابع شارع على الشمال

فقال لى هولمز ونحن نبتعد عن المكان :

— انه والله شاب ألمعى ، فلست أعرف فى مثل جسارته وذكائه من أبناء لندن إلا ثلاثة أشخاص . وأعتقد اننى احتككت به من قبل ..

— أعتقد ياعزيزى هولمز أنك لم تطرق الباب إلا لكى تراه ، فهو عامل مهم جداً فى قضية المستر ويلسون .. أليس كذلك ؟

— انى لم أطرق الباب كى أراه هو بالذات

— لماذا إذن ؟

— بل لأرى بنطلونه . وركبتى بنطلونه على وجه الدقة !

— عجباً ! وماذا رأيت فيهما ؟

— رأيت ما كنت أتوقع أن أراه

— ولماذا طرقت أرض الشارع بعصاك ؟

— ياعزيزى الدكتور . ليس هذا وقت الكلام ، بل وقت الملاحظة . فنحن بمثابة جواسيس فى أرض الأعداء . وقد عرفنا ما يهمنا من ميدان ساكس كوبرج ، فهيا بنا الآن نكتشف الشوارع الخلفية فى المنطقة

وكانت تلك الشوارع الخلفية من أنشط شوارع التجارة الكبرى ، بحيث لا يكاد يصدق الانسان أن هذه الحركة تقع مباشرة فى ظهر منطقة ميدان ساكس كوبرج الهادئة الساكنة . ووقف هولمز عند رأس الشارع ثم قال :

— اسمح لى ياعزيزى واطسن أن أفحص البيوت وأتأكد من مواضعها. فانى كما تعلم مغرم بمعرفة تفاصيل هندسة لندن بدقة تامة . هذا أولا محل دخان، ثم هذا دكان صغير لبيع الصحف ، ثم هذا فرع كوبرج من بنك المدينة والضواحى ، وهذا مطعم نباتى ، وهذه ورشة لبناء العربات .. فهمت . والآن قد أتممنا عملنا ياعزيزى واطسن ، فهيا بنا لتناول الطعام فى أى مطعم ، ثم نمضى

إلى المسرح لنفتح آذاننا وقلوبنا لعرائس الفن وأنغامه العذبة !

وفى المسرح رأيت هولمز يستغرق فى السماع ، مدندناً وهازاً رأسه ويديه على إيقاع الكمان البديع . وبعد الفاصل الأول قال لى :

— أحسبك يا واطسن راغباً فى العودة إلى بيتك وزوجتك الحسناء ..

— ياحبذا ذلك !...

— أما أنا فعندى عمل هام قد يستغرق بضع ساعات .. لأن هذه القضية، قضية ويلسون ، فى غاية الخطورة

— ولماذا ؟..

— هناك مؤامرة من أخطر ما يكون فى دور التحضير ، وأعتقد أننا تدخلنا فى الوقت المناسب لايقافها دون غايتها . وإن كان اليوم السبت ، وذلك مما يزيد الأمر تعقيداً . وسأحتاج فى هذه الليلة إلى معونتك . فاذا استطعت الحضور فى العاشرة مساء كان ذلك مناسباً جداً

— سأكون قبيل ذلك الوقت فى شارع بيكر

— مع السلامة حتى ذلك الحين . وعلى فكرة يادكتور . قد يكون فى مهمتنا عنصر العنف ، وبعض المخاطرة ، فلا تنس أن تحضر معك مسدسك السريع الطلقات ..

ثم دار هولمز على عقبيه واختفى عن نظرى بين زحام الناس ، واستولى علىّ شعور بالغباء ، لأنى وإن كنت فى مستوى ذكاء أوساط الناس ، إلا انى مع هولمز بالذات لا أملك إلا الشعور بالغباوة وبلادة الذهن ، لأننا نرى نفس الأشياء . فيفهم منها هو أموراً كثيرة ، ولا أفقه أنا شيئاً

وقد أتعبت ذهنى وأنا فى طريقى إلى بيتى ، فاسترجعت ما سمعت معه وما رأيت ، ولكنى لم أهتد إلى شىء ، فطرحت الأمر من ذهنى يائساً

وبعيد الساعة التاسعة غادرت بيتى مخترقاً هايد بارك وشارع اكسفورد إلى شارع بيكر . فلما وصلت إلى بيت هولمز وجدت أمامه عربتين خصوصيتين .

ولما دخلت البيت سمعت أصوات مناقشة صادرة من حجرة الجلوس . فلما دخلت من الباب رأيت هولمز منهمكا فى الحديث مع شخصين ، عرفت فى أحدهما المستر بيتر جونز مفتش البوليس . أما الرجل الآخر فطويل القامة ، رفيع ، حزين الوجه ، وتدل ثيابه الفاخرة الأنيقة المحتشمة على انه من ذوى المكانة . فلما رآنى هولمز صاح متهللا :

— لقد اكتمل عقدنا الآن . وأظنك ياواطسن تعرف المفتش جونز . وهذا هو المستر «مرّى ويذر» الذى سيصحبنا هذه الليلة فى مغامرتنا . وأعتقد يامستر « مرى ويذر » انك ستجد تسلية طريفة تعزيك عن ازعاجك من حفلة البريدج التى تخلفت عنها الليلة . وأما أنت ياجونز ، فسيقع فى يدك صيد ثمين ، طالما تمنيت أن تقبض عليه منذ زمن : إلا وهو « جون كلاى » . القاتل ، اللص ، المزيف ، ومقتحم الخزائن المشهور . وهو شاب حديث السن يا مستر مرى ويذر ، ولكنه فى الصف الأول من أبناء مهنته حذقاً ودهاء . وهو للأسف من أصل عريق ، فجده مباشرة دوق من أعضاء الأسرة المالكة . وقد تعلم هو فى كلية ايتون وفى جامعة أكسفورد . وهو بارع فى الاختفاء والافلات كأنه الزئبق .. فأرجو أن تركب يامستر مرى ويذر مع المفتش جونز العربة الأولى ، وسأتبعكما فى العربة الثانية مع الدكتور واطسن

وقد فعلنا ذلك ، ولاذ هولمز بالصمت طول الرحلة ، ماعدا الدندنة بلحن موسيقى لم أتبينه ، مما يدل على استغراقه فى التفكير مع التحفز

وظلت العربة تخترق بنا المسالك والشوارع الملتوية المضاءة بالغاز ، إلى أن وصلت بنا العربة إلى شارع فارنجدون فقال لى هولمز :

— لقد أوشكنا على الوصول ياعزيزى واطسن . ومستر مرى ويذر هذا من رجال المال والاقتصاد ، فهو مدير بنك ، والقضية التى بين يدينا تمسه مباشرة . وقد رأيت من المناسب أن يكون المفتش جونز معنا ، فهو شخص طيب القلب وإن كان طبعاً جاهلا جهلا كبيراً بأصول مهنته ، إلا أن له مزية

واحدة ، وهى شجاعته وعناده ، فهو من فصيلة البولدج الذى إذا أطبق أنيابه على فريسة لم يفلتها بعدذلك أبداً . وها نحن قد وصلنا أخيراً . وها هما فى انتظارنا

ونزلنا من عربتنا وصرفناها . ثم تبعنا مستر مرى ويذر فسار بنا فى ممرات ضيقة ، ثم دخل بنا من باب جانبي فتحه لنا بمفتاح كان معه ، فوجدنا أنفسنا فى دهليز ينتهى بباب حديدى ضخم . ووقف مستر مرى ويذر قليلا ريثما أوقد فانوساً ثم هبط بنا سلالم تفوح منها رائحة الرطوبة ، ثم فتح باباً ثالثاً فوجدنا أنفسنا فى قبو مزدحم بالصناديق الضخمة . وقال هولمز عندئذ للرجل :

— أرى ان المكان ليس سهل المنال من فوق

فأجابه مستر مرى ويذر :

— ولا من تحت ..

ودق بعصاه الأرض ، ثم صاح متعجباً :

— يا إلهى ! ان الأرض تبدو جوفاء

فقال له هولمز بحدة وحزم :

— لا بد فيما يظهر من لفت نظرك إلى مراعاة الهدوء والصمت التام . فمثل هذه الحركة تنذر بفشل خطتنا كلها . فأرجوك أن تجلس فوق هذا الصندوق البعيد ولا تتدخل مطلقاً فى كل ما سيحدث

فتوجه مستر مرى ويذر إلى حيث أشار هولمز وجلس متجهماً لما لحقه من الاساءة ، أما هولمز فركع على ركبتيه فوق الأرض واستعان بالفانوس وبعدسة مكبرة كى يختبر الشقوق التى بين البلاط . وإن هى إلا بضع ثوان حتى قفز واقفاً ووضع العدسة فى جيبه وقال هامساً :

— أمامنا على الأقل ساعة أخرى . فلا ينتظر أن يقدموا على أى خطوة قبل أن يكون مستر ويلسون قد استغرق فى نومه . وعندئذ لن يضيعوا دقيقة واحدة من وقتهم . ونحن الآن يا دكتور وطسن كما لا شك أنك أدركت فى القبو السرى لبنك من أهم بنوك لندن . والمستر مرى ويذر هو عضو مجلس

إدارته المنتدب . وسيشرح لك السبب الذى من أجله يستهدف هذا القبو لعناية أجرأ لصوص الخزائن فى لندن فى وقتنا الحاضر

خرج مستر مرى ويذر عن صمته وهمس قائلا :

— إنه الذهب الفرنسى يا سيدى

فسألته متعجباً :

— الذهب الفرنسى ؟ ماذا تعنى بذلك ؟

— لقد سنحت لنا الفرصة فى الشهور الأخيرة لتقوية رصيدنا ، فحصلنا على ثلاثين ألف جنيه ذهباً من بنك فرنسا . وقد شاع بطريقةما أننا لم نتمكن حتى الآن من فتح الصناديق ، ولذلك بقيت النقود حيث تراها الآن فى القبو . وجاءتنا تحذيرات كثيرة مجهولة عن مؤامرات تدبر للسطو على القبو

وعندئذ تدخل هولمز فى الحديث قائلا :

— والآن حان أن نرتب أنفسنا للمعركة الحاسمة التى أنتظر أن تبدأ فى بحر ساعة من الزمن . وأرى يا مستر مرى ويذر أنه ينبغى منذ الآن أن نضع ستاراً أسود فوق هذا الفانوس

— ونجلس فى الظلام ؟ !

— أخشى أنه لا مفر من هذا . ويجب قبل ذلك أن نختار مواقعنا ، فأعداؤنا من أهل الجسارة والشر ، ولا يبعد رغم سوء موقفهم أن يلحقوا بنا الأذى إذا لم نأخذ حذرنا . أما أنا فسأقف خلف هذا الصندوق . وعليكم أنتم أن تختفوا وراء تلك الصناديق ، ومتى أطلقت شرارة فوق رؤوسهم ، يجب أن تهجموا عليهم بسرعة . وإذا أطلقوا النار فلا تتردد يا وطسن فى قتلهم بمسدسك

فأخرجت مسدسى المحشو ووضعته أمامى فوق الصندوق الخشبى الذى اختفيت خلفه . ومد هولمز يده إلى المصباح فأنزل ذبالته حتى أصبحنا فى ظلام دامس ، وإن كان من الممكن فى أى لحظة أن يحرك ذبالة الفانوس فترتفع إلى

أعلى وينتشر النور فى لحظة واحدة

وراح الوقت يمر ببطء شديد جداً فى الظلام والسكون المطبقين . وهمس هولمز :

— إن الاحتمال الوحيد لنجاتهم هو الارتداد إلى منزل ويلسون المطل على ميدان ساكس كوبرج . فأرجو أن تكون قد نفذت ما طلبته منك يا جونز

— لقد وضعت أمام باب ذلك البيت مفتشاً وضابطين

— عظيم . . لقد سددنا جميع المنافذ . وعلينا الآن أن نصمت وننتظر

وراح الوقت يمضى فى تثاقل شديد . فكأن كل دقيقة دهر طويل ، وأخذت أطرافى تتجمد من الرطوبة والجمود . فرحت أتسلى لقطع الوقت بعد أنفاس زملائى فى ذلك السجن ، فتمكنت من تمييز أنفاس المفتش جونز بسهولة لأنها كانت أعمق من أنفاس الآخرين . وأما مستر مرى ويذر فكنت أتعرف على تنفسه بهذه التنهدات التى كان يطلقها بين الحين والحين

وأخيراً لمحت عينى بارقة نور باهت على الأرض ، لم تلبث أن امتدت حتى صارت خطاً طويلا أصفر . ثم تحول الخط إلى مربع كامل مضىء ، ثم برزت من الفجوة يد بيضاء صغيرة تشبه أيدى النساء ، لم تلبث أن انسحبت بسرعة . ولكن غيابها لم يطل ، إذ عادت حاملة فانوساً صغيراً ، ثم برز وراء اليد والفانوس وجه غلامى أمرد ، ثم ظهر الكتف ، ومن ورائه إحدى الركبتين ، بحيث لم تبق إلا خطوة واحدة ويغدو صاحبنا واقفاً فى القبو . وأفلح فعلا فى الصعود . ومال فوق الفجوة ليرفع زميلا له لم نره بعد ، ولم يلبث ذلك الزميل أن ظهر ، فاذا به رجل ضئيل شاحب الوجه أحمر الشعر بشكل خارق للعادة

وفى هذه اللحظة رفع هولمز فتيل الفانوس ولوح به فوق رأسيهما . ثم قفز وأمسك بالفتى من تلابيبه . أما الآخر فقفز من الفجوة . ولمعت شرارة من فوهة مسدس فى يد الفتى الذى كان هولمز يصارعه ، ولكن هولمز ضربه على يده فى الوقت المناسب فوقع المسدس على الأرض ، وصاح به هولمز :

— لا فائدة من المقاومة يا جون كلاى

فقال الآخر بفتور تام :

— هذا ما يبدو لى فعلا . وإن كنت مسروراً لأن شريكى قد نجا

— إن بالباب الأمامى ثلاثة من قوة سكوتلانديارد فى انتظاره للترحيب به ووضع الأساور الجميلة فى معصميه

— أحقاً ؟ لقد اتخذت للأمر أهبته الكاملة إذن . ولا يسعنى إلا أن أهنئك

— وأنا أيضاً أهنئك . فان فكرة رابطة ذوى الرؤوس الحمراء فكرة بديعة جداً فى الواقع ، ومبتكرة لم تخطر لأحد من قبل

وفى هذه اللحظة تقدم جونز ليضع الكلبشات فى يدى جون كلاى ، فقال له جون بأنفة وكبرياء :

— تأدب معى فان الدم الأزرق يجرى فى عروقى .. واحذر أن تخاطبنى إلا بقولك « يا سيدى » و « من فضلك » و « إذا تكرمت »

— سمعاً وطاعة يا صاحب السعادة . . .

وانصرف المفتش جونز بصيده الثمين ، وانطلق مستر مرى ويذر يكيل الشكر لصديقى هولمز على ما أداه للبنك من خدمة كبرى



فلما عدنا إلى البيت فى الساعات الأولى من الصباح وجلسنا نحتسى كأساً من الويسكى ، شرع شرلوك هولمز يفسر لى ما حدث وكيفية وصوله إلى السر الغامض عن طريق الاستنتاج . قال :

— لقد كان واضحاً لأول وهلة أن ذلك الاعلان الغريب الصادر عن رابطة ذوى الرؤوس الحمراء المزعومة ، ثم تكليف صاحبنا مستر ويلسون بنسخ دائرة المعارف البريطانية إنما كان الغرض منه إزاحة صاحب محل الرهونات الساذج من الطريق . وأعتقد أن هذه الفكرة الجهنمية إنما خطرت للفتى جون كلاى

بمناسبة لون شعر شريكه وهو نادر فى شدة حمرته ، وكان واضحاً أن الأربعة جنيهات الذهبية كل أسبوع طعم كاف للتغرير بمستر ويلسون الحريص على المال. وهى فى الوقت نفسه مبلغ تافه جداً بالنسبة لمجرمين يخاطران فى سبيل الحصول على عشرات الألوف بضربة واحدة . ونشر الاعلان وتولى أحد المجرمين تأجير المكتب ، فى الوقت الذى تولى فيه المجرم الآخر جر الفريسة إلى المكان الذى به الطعم . وهكذا ضمن الاثنان أن يظل مستر ويلسون محبوساً بعيداً عن بيته طول فترة الصباح ولمدة ثمانية أسابيع . وقد تشككت فى هذا المساعد منذ عرفت أنه لا يتناول إلا نصف الأجر الذى يستحقه أمثاله . فعرفت أن هناك دافعاً له إلى ذلك المسلك الشاذ

— ولكن يا عزيزى هولمز كيف عرفت نوع الدافع ؟

— لو أن فى البيت امرأة لعزوت هذه الترتيبات الى أغراض غرامية ، ولما كانت أعمال ويلسون على نطاق ضيق ، فليست لديه ثروة تستحق عناء هذه الترتيبات المحكمة العويصة . إذن لابد أن موضوع المؤامرة شىء خارج البيت ، ولكنه متصل به فى الوقت نفسه . ولفت نظرى قول ويلسون أن مساعده مغرم الى حد الجنون بالتصوير الفوتوغرافى ، وأنه يقضى الساعات فى قبو البيت تحت الأرض فى تحميض الأفلام وتكبيرها . ثم من أوصاف المساعد عرفت أنه من أخطر المجرمين فى لندن وأشدهم جرأة ودهاء . ولابد أن فى القبو شيئاً يستدعى أن يقضى فيه بضع ساعات كل يوم ، وأسابيع متوالية . فماذا عسى أن يكون هذا الشىء ؟ ولم يهدنى تفكيرى إلا إلى شىء واحد،وهو أن صاحبنا يحفر سرداباً من ذلك القبو يصل به الى قبو فى بناء مجاور . وبعد ذلك ذهبنا معاً ودرسنا المنطقة بالتفصيل . وقد لاحظت دهشتك لأننى دققت سطح أرض الشارع أمام الباب بعصاى . فقد كنت أريد أن أعرف هل تجويف السرداب يمر من أمام البيت أو من خلفه . ولم أجده أمام الباب . فقد تحتم اذن أن يكون من الخلف . ودققت الجرس ففتح لى الفتى الباب بنفسه ،

وكنت كما قلت لك سابقاً أريد أن أرى ركبتيه ، فوجدتهما لامعتين ، مما يدل على طول الركوع . فلم يبق أمامى إلا أن أعرف السرداب بالضبط . ولذلك ذهبنا إلى الناحية الخلفية ، وهنـاك اكتشفت مقر فرع كوبورج لبنك لندن وضواحيها ، فأيقنت أننى وصلت إلى كبد الحقيقة . ولمـا افترقنا ذهبت لزيارة اسكوتلانديارد ، واتفقت مع المفتش جونز على الترتيبات اللازمة ، ثم زرت عضو مجلس إدارة البنك المنتدب مستر مرى ويذر

— وكيف عرفت أن العملية ستتم الليلة ؟

— لأنهم أعلنوا حل رابطة ذوى الرؤوس الحمراء فى الصباح، ومعنىذلك أن مستر ويلسون سيلازم البيت ابتداء من اليوم ، وبعبارة أخرى أنه لم تعد هناك حاجة لابتعاده عن مسرح العمل ، ومعنى هذا قطعاً أن السرداب قد تم، ولا مفر من استخدامه فوراً خشية افتضاح أمره لأى سبب من الأسباب ، أو خوفاً من نقل صناديق الذهب . ولمـا كانت الليلة ليلة الأحد ، فهى أنسب ما يمكن للسطو على القبو . ولهـذه الأسباب مجتمعة أيقنت أن موعد تنفيذ الجريمة هو هذا المساء ، عقب استغراق مستر ويلسون فى النوم



"العريس" المفقود

- ٣ -

أهم الأشخاص

- **الدكتور وطسن** : راوية القصة ومساعد هولمز
- **شرلوك هولمز**
- **مارى سوذرلاند** : فتاة طيبة القلب ، مرحة ، فى الثانيــة والعشرين
- **وندى بانك** : زوج أمها ، أكبر منها بخمس سنين وأصغر من أمها بخمس عشرة سنة
- **هوسمر آنجل** : حبيب مارى وخطيبها ، تعرفت به فى حفلة راقصة ، واختفى فجأة قبل الزواج

كنت جالساً بجانب النار أتجاذب أطراف الحديث مع شرلوك هولمز ، وبيننا كأس من الشراب المعتق ، وتطرق بنا الكلام إلى تفاهة الحوادث الجارية والقضايا التي تزدحم بها أنهار الصحف ، وهى خالية من الطرافة أو التشويق ، فذكر لى أن بين يديه جملة قضايا فى الوقت الحاضر ، ولكن ليس منها شىء يلذ له عقلياً ، وإن أدرت عليه المال الكثير. ثم لم يلبث أن استطرد بعد لحظة:

ــ ومع هذا فمن الجائز أن تأتينا بعد دقائق قضية جديدة لعلها تكون حافلة بما ينشط العقل ويطرد صدأ التفاهة . فإنى أسمع طرقاً على الباب ، وهى طرقة غريب لابد أنه عميل جديد

ولم تلبث أن دخلت علينا الخادم تعلن قدوم الآنسة مارى سوذرلاند . ثم دخلت الآنسة فاذا هى إمرأة ضخمة حول عنقها فراء ثقيل ، وفى قبعتها ريشة حمراء . فرحب بها شرلوك هولمز ثم أغلق الباب وراءها وأجلسها فى مقعد مريح ، ثم راح يرمقها بنظرته الفاحصة التى أعهدها فيه ، وعقب على ذلك بقوله :

ــ ألست تجدين من المتعب بل الضار لك أن تكثرى إلى هذا الحد من الكتابة على الآلة الكاتبة مع ماتشكين منه من قصر النظر ؟

فأجابته قائلة :

ــ لقد كان الأمر كذلك فى البداية . أما الآن فاننى أعرف مواضع الحروف بغير حاجة إلى النظر إليها ، فالأمر الآن أسهل بفضل التمرين الطويل

ثم تبينت فجأة المغزى الكامن وراء كلماته ، فأجفلت وحملقت فيه بدهشة، وهتفت :

ــ لابد أنك سمعت عنى يا مستر هولمز ، وإلا فكيف عرفت عنى قصر النظر وكثرة اشتغالى بالكتابة على الآلة الكاتبة ؟

فضحك هولمز وقال لها :

— لا بأس . فان مهنتى أن أعرف الأشياء من تلقــاء نفسى . ولعلنى قد تمرنت طويلا على رؤية أشياء لا يلحظها غيرى . ولولا هذا لما كان هناك أى داع لحضورك وحضور غيرك بقصد استشارتى فيما يحيرهم من المشاكل الغامضة

— الواقع يا مستر هولمز انى جئت اليك بعــد أن سمعت الثناء الـكثير عليك من مسز ايثاروج ، التى عثرت على زوجها بسهولة كبيرة ، بعد أن نفض البوليس وكل انسان يده من العثور عليه وعدوه ميتاً . وآمنى يامستر هولمز أن تؤدى لى مثل هذه الخدمة . وإنى وإن كنت غير موسرة ، إلا أن لى إيراداً خاصاً مائة جنيه سنويا ، بخلاف ما أكسبه من الـكتابة على الآلة الـكاتبة . وانى لأنزل عن كل ذلك راضية النفس كى أعرف ماذا حدث للمستر هوسمر آنجل

فلم يرد هولمز مباشرة على عبارتها ، بل علق عينيه بالسقف وسألها :

— خبرينى أولا لماذا حضرت لاستشارتى بكل هذه العجلة ؟

فبدت فى وجهها الضخم أمارات الدهشة الممزوجة بشىء من الخوف وقالت :

— الواقع فعلا انى اندفعت خارجة من البيت ، لأننى كنت غاضبــة غاية الغضب لما يبديه مستر ويندى بانك ــ وهذا هو اسم أبى ــ من عدم الاهتمام . فهو لا يريد أن يبلغ البوليس ، ولا يريد أن يأتى اليك . ولا يريد أن يفعل شيئاً ، سوى أن يكرر على سمعى انه لم يحدث سوء فكاد ذلك يدفعنى إلى الجنون ، فارتديت ملابسى حيثما اتفق واندفعت قاصدة اليك

فقال هولمز وقد زوى ما بين حاجبيه :

— والدك ؟ لا شك انه زوج أمك فاسما كما مختلفان

— نعم . هو زوج أمى . ولـكنى أدعوه أبى وإن كان هذا يبدو مضحكا جداً ، لأنه لا يكبرنى فى العمر إلا بخمسة أعوام وشهرين

— وهل والدتك على قيد الحياة ؟

— نعم والدتى على قيد الحياة وبصحة جيدة . ولا أكتمك يامستر هولمز

انى لم أطر فرحاً حين أقدمت أمى على الزواج بعد وفاة أبى بزمن وجيز ، ومن رجل أصغر منها فى السن بخمس عشرة سنة . وقد كان أبى فى حياته سباكا فى طريق توتنهام ، وقد خلف لنا تجارة نافعة منظمة وعملا رابحاً ، تولت والدتى إدارته بمعاونة مستر هـاردى رئيس العمال بالمحل . ولـكن عند ما ظهر على المسرح مستر ويندى بانك ، حملها على أن تبيع المحل ، لأنه وجده لا يليق بقيمته الاجتماعية ، لأنه كومسيونجى رحالة فى تجارة الأنبذة . وقد بيع المحل بما فيه وباسمه التجارى بمبلغ أربعة آلاف وسبعمائة جنيه ، وهى قيمة تقل بكثير عما يساويه

وكنت أتوقع أن تبدو على وجه هولمز علائم الضجر والسأم من كل هذه التفاصيل ، ولـكنى لاحظت بالعكس انه كان يتتبع كلام الشابة الضخمة بانتباه عظيم . ثم سألها :

— وإيرادك السنوى الذى تتحدثين عنـه ، هل يأتيك من حصتك فى ثمن المحل ؟

— كلا ياسيـدى بل انه هبة تركها لى عمى فى أسهم شركة نيوزيلندية أرباحها أربعة ونصف فى المائة . وقيمة هذه الهبة ألفان وخمسمائة جنيه ، ولـكنى لا أستطيع بنص الوصية أن أتصرف إلا فى ريعها السنوى

— ان حديثك يثير اهتمامى جداً يا آنسة . ولما كنت تحصلين على ريع لا يستهان به مقـداره مائة جنيه سنوياً ، بخلاف أرباحك من الـكتابة على الآلة الـكاتبة ، فلاشك عندى انك كثيرة الأسفار ، للترفيه عن نفسك والتمتع بالحياة . فان ستين جنيهاً فى السنة مبلغ كاف للضرورات المعقولة فى زمننا هذا لسيدة تعيش بمفردها

— الواقع يامستر هولمز انه كان يكفينى أقل من هذا المبلغ أيضاً بكثير ، لأنى معتدلة فى مطالبى ونفقاتى . ولـكن لاشك انك تقدر انى ما دمت أعيش فى البيت مع أمى وزوجها ، فأنا لا أحب أن أكون عالة عليهما ، ولهذا فانى

أترك لهما إيرادى الخاص ، يقبضه زوج أمى بتحويل منى من مكتب الشركة المودعة لديها الأسهم . أما مصروفى الخاص وملابسى فأجد لها مافوق الكفاية مما أكسبه من الكتابة على الآلة الكاتبة . وهو يبلغ فى المتوسط أربعين بنساً فى اليوم

وعندئذ قال لها هولمز ، وقد أدرك بفطنته انها ستدخل فى صميم الموضوع:

ـــ لقد أوضحت ظروفك العامة كل الايضاح . واعلمى ان هذا هو صديق ومعاونى الدكتور وطسن ، الذى يمكنك أن تتحدثى أمامه بصراحة تامة ، كما تتحدثين أمامى تماماً . والآن أرجو أن تقصى علينا مسألة الصلة التى تربطك بالمستر هوسمر آنجل

فرأيت الحمرة تنتشر على وجه الآنسة سوذرلاند ، ثم راحت تعبث بأناملها فى طرف ثوبها برهة ، حتى إذا استردت هدوءها قالت :

ـــ لقد قابلته للمرة الأولى فى حفلة راقصة يقيمها المشتغلون بأعمال الغاز كل سنة ، وكان من عادتهم أن يرسلوا دعوة إلى والدى أثناء حياته . وظلوا يرسلون الدعوة إلى والدتى من بعد وفاته وفاء منهم . وكان زوج أمى لا يحب أن نذهب إلى مثل هـذه الحفلات ، ويفضل أن نبقى فى البيت لا نبرحه ، بل لقد بلغ به التطرف أن يثور ثورة شديدة إذا أنا أبديت رغبة فى التردد على مدارس الأحد أو غير ذلك من الجمعيات الدينية . ولكنى حين وصلت الينا هذه الدعوة للحفلة الراقصة كنت قد صممت على الذهاب اليها ، لأثبت له انه لا يملك التحكم فى أمورى وأنا فى هـذه السن . فراح يتعلل بأن رواد الحفلة ليسوا من طبقتنا الاجتماعية ، مع انهم جميعاً من معارف المرحوم أبى . فلما بينت له فساد هذه الحجة قال انى لا أملك ثوباً يليق لحضور مثل هذه الحفلات، مع انه يعلم تمام العلم انى أملك ثوباً للسهرة أرجوانياً لم تسنح لى الفرصة لارتدائه مرة واحدة . فلما عجز عن إقناعى بعدم الذهاب ، سافر إلى فرنسا فى رحلة من رحلاته التجارية المألوفة ، وبذلك ذهبنا إلى الحفل أنا ووالدتى والمستر

هاردى رئيس عمالنا السابق . وهناك التقيت وتعرفت بالمستر هوسمر أنجل

فقال لها هولمز بتؤدة :

— وأظن ان المستر ويندى بانك قد أظهر عقب عودته من فرنسا غضباً شديداً واستياء لذهابك إلى ذلك الحفل الراقص فى غيابه

— بالعكس . لقد كان ظريفاً جداً على غير المنتظر ، فإنى أذكر انه ضحك وهز كتفيه قائلا انه لافائدة من منع امرأة عن أى شىء يقوم فى رأسها أن تفعله

— عظيم . عرفت إذن انك التقيت فى هذه الحفلة بسيد يدعى هوسمر أنجل

— أجل ياسيدى . قابلته هناك تلك الليلة . وفى اليوم التالى تفضل بزيارتنا ليسأل ويطمئن على انى ووالدتى قد وصلنا سالمتين فى أمان الله بعد السهرة . وبعد ذلك قابلته مرتين خارج البيت للنزهة ، ثم لم يلبث زوج أمى أن عاد من فرنسا ، فامتنع على المستر هوسمر أنجل أن يأتى إلى البيت

— لماذا ؟ . .

— الواقع أن زوج أمى لم يكن ليهضم مثل هذه التصرفات ، فهو لا يحب الزوار ، ولا يسمح لى بالاختلاط بجنس الرجال

— مفهوم . ولكن ألم يحاول المستر هوسمر انجل أن يقابلك خارج البيت بعد عودة زوج أمك من فرنسا ؟

— الحقيقة أن زوج أمى كان مزمعاً أن يسافر إلى فرنسا مرة أخرى بعد أسبوع . وقد أرسل إلىّ المستر هوسمر خطاباً يقول إنه من المستحسن والأضمن ألا نتقابل إلى أن يسافر زوج أمى . ولكنه واظب على الكتابة إلىّ يومياً . وكنت أنا التي أتسلم البريد من الساعى كل يوم ، لهذا لم يكن أبى يعلم بالخطابات

— وهل كنت مخطوبة له فى ذلك الوقت ؟

— أجل يا مستر هولمز . فقد تعاهدنا على الزواج بعد أول نزهة . والمستر آنجل صراف فى شركة بشارع ليدن هول

— وما اسمها ؟

— هذا أسوأ ما فى الموضوع يا مستر هولمز . فأنا لا أعرف اسمها

— وأين محل سكنه ؟

— لقد كان يقيم فى غرف ملحقة بمكاتب الشركة

— وهل لديك عنوانه الكامل ؟

— كلا . فيما عدا اسم الشارع . شارع ليدن هول

— وكيف كنت تراسلينه إذن ؟

— على شباك البوسطة بشارع ليدن هول

— ولماذا هذا الغموض ؟

— لقد قال لى إنه إذا تلقى الخطابات فى المكتب ، سوف يصبح هدفاً لدعابات زملائه الكتبة . لأن الخط سيكون ظاهراً للجميع أنه خط امرأة . وقد عرضت عليه أن أكتب العنوان على الآلة الكاتبة ، ما دام هو يبعث إلىّ خطاباته كلها مكتوبة بالآلة الكاتبة ، ولكنه لم يقبل

— لماذا ؟ . .

— لقد أقنعنى بأنه عندما يتلقى الخطاب بخط يدى ، يحس أنه جزء منى ، فتحدث له من جراء ذلك نشوة من القسوة أن أحرمه منها . وهذا يدلك يا مستر هولمز على مبلغ غرامه بى ، وعلى الأفق السامى الذى كان يحلق فيه تفكيره

— الواقع يا آنسة أننى أعتقد اعتقاداً راسخاً أن هذه الأشياء الصغيرة الدقيقة أكثر دلالة بالفعل على حقيقة الشخص من المسائل الضخمة التي تبدو بارزة الأهمية . فهل تذكرين أشياء أخرى دقيقة صغيرة مثل هذه ؟ —

— لقد كان هوسمر رجلا خجولا جداً . فكان يفضل مثلا أن يتمشى معى للنزهة فى المساء لا فى نور النهار . فهو محب للعزلة لا يحب الاختلاط بالناس أو الظهور ، حتى صوته كان من الأصوات المنخفضة جداً وقد فسر لى

ذلك بأنه أصيب فى صغره بالتهاب فى غدد الحلق أضعف حنجرته فصار كلامه أقرب إلى الهمس . وهو أنيق فى ملبسه ، ولكن فى بساطة ووقار . ونظره ضعيف مثل نظرى ، ولكنه كان يلبس نظارات قاتمة اللون لتمنع عنه الضوء الشديد

— حسناً . ثم ماذا حدث عندما سافر زوج أمك إلى فرنسا فى المرة الثانية ؟

— زارنا مستر هوسمر فى البيت ، واقترح أن نتزوج فى هذه الفرصة قبل عودة زوج أمى من فرنسا . وألح فى ذلك إلحاحاً شديداً . ثم جعلنى أقسم على التوراة والانجيل أنه مهما حدث من الغرائب والعقبات فاننى أحافظ على عهده وأبقى مرتبطة به مخلصة له . وقد وافقت أمى على فكرة القسم قائلة إن مثل هذا التعهد المقدس دليل صادق على إخلاص شعوره وقوة عاطفته

— هل أفهم من ذلك أن والدتك كانت تحبذ صلتك بالمستر آنجل ؟

— طبعاً . فقد كانت منذ البداية مؤيدة للمشروع ، بل لعلها كانت أشد إعجاباً بهوسمر منى . وقد فاتحها شخصياً فى مسألة الزواج فى بحر الأسبوع ، فأثرت أنا مسألة غياب أبى . ولكنهما أجمعا الرأى على أنه لا لزوم لحضوره ، وأنه يكفى جداً — بما أنه ليس والدى حقيقة — أن نخطره بالموضوع فيما بعد ، وتعهدت والدتى بتسوية المسألة بوسائلها الخاصة . ولا أكتمك يا مستر هولمز أننى لم أكن مستريحة إلى هذا الاختلاس ، ولهذا كتبت دون علمهما خطاباً اليه بعنوانه فى بوردو ، حيث يوجد الفرع الفرنسى للشركة التى يعمل لحسابها فى تجارة الخمور . ولكن الخطاب أعيد إلىّ من هناك فى صباح يوم القران بالذات

— وكيف لم يصل اليه ؟

— لقد وصل الخطاب بعد أن سافر زوج أمى إلى انجلترا مباشرة

— هاها ! لقد كان هذا من سوء الحظ ولا شك . وكان قد رتب الزواج

إذن يوم الجمعة . فهل اتفقتم على أن يتم فى الـكنيسة ؟

— نعم يا سيدى . ولـكن فى اختصار وهدوء . وكان المفروض أن يتم العقد فى كنيسة المخلص قرب كنجز كروس ، ثم نتناول الافطار بعد ذلك فى فندق سانت بان كراس . وقد حضرهوسمر فىالصباح لاصطحابنا فى عربة ، ولـكن بما أن العربة لا تسع إلا اثنين فقد تركها لى أنا وأمى ثم ركب عربة أجرة كبيرة تصادف وجودها فى الشارع ولحق بنا . وقد وصلنا قبله . فلما وصلت عربته انتظرنا أن ينزل منها . ولـكنه لم ينزل . فلما نزل الحوذى ليرى ما الخبر لم يجد أحداً بداخل العربة !

— هكذا ؟ !

— نعم . وقد قرر الحوذى أنه لا يتصور ماذا حدث ، لأنه رأى بعينى رأسه هوسمر يركب . ولا يدرى كيف غادر العربة دون أن يشعر به . وقد حدث ذلك يا مستر هولمز يوم الجمعة الماضى . ومنذ ذلك التاريخ لم أستطع الاهتداء إلى شىء يلقى أى شعاع من النور على هـذه المسألة الغامضة . فماذا حدث له ؟

— إنى أعتقد يا آنسة أنك عوملت معاملة شائنة

— لا تقل هذا يا سيدى من فضلك . فقد كان هوسمر أنبل وأرق من أن يتركنى هكذا بإرادته . بدليل أنه جعل يردد على مسمعى ذلك الصباح بالذات أنه مهما حدث فيجب أن أبقى مخلصة له متمسكة بعهد خطوبته . وأنه إذا حدث ما يفرق بيننا بأى شكل ، فيجب أن أتذكر أننى مرتبطة به أمام الله ، وأنه سيعود لمطالبتى بحقه إن عاجلا أو آجلا . ولا أخفى عنك يا مستر هولمز أن هذا الحديث بدا لى غريباً جداً فى يوم القران . ولـكن ما حدث بعد ذلك جعل له مغزى وقيمة كبيرة

— لا شك فى ذلك . فأنت تعتقدين إذن أن كارثة مجهولة قد حدثت له

— نعم يا سيدى وأعتقد أنه كان يتوقع خطراً ما ، وإلا لما قال لى ما قال

— وماذا تظنين أن يكون ذلك الخطر ؟ أليست لديك أى فكرة عنه ؟

— على الاطلاق . . !

— سؤال آخر . كيف تلقت والدتك ما حدث ؟

— بغضب شديد . وقالت إنه يجب علىّ أن أنسى الموضوع ولا أذكره على لسانى بعد ذلك

— وزوج أمك ؟ هل أخبرتماه ؟

— نعم . وهو يعتقد كما أعتقد أنا أن شيئاً ما قد حدث لهوسمر ، وأننى فى الغالب سأتلقى منه تفسيراً فى وقت قريب . . ! !

— وعلام بنى هذا الحكم ؟

— إن حجته معقولة ، فهو يقول إنه لا فائدة يمكن أن يجنيها شخص من توصيلى إلى باب الكنيسة ثم يختفى بعد ذلك . فلو أنه مثلا كان قد اقترض منى نقوداً ، أو أنه تزوجنى واستولى على أموالى ولو بصفة مهر (دوطة) لكان الأمر مفهوماً . ولكن هوسمر كان رجلا عفيفاً جداً فيما يتعلق بالمال ، ولم يكن لينظر إلى شلن واحد من نقودى . ومما زاد حزنى أن المسألة ليس لها حل أو سبب مفهوم ، وأننى لم أتلق منه سطراً يشرح لى الموقف أو يطمئننى على سلامته ، حتى لقد أوشكت أن أجن ، وأصبحت لا أستطيع النوم

ثم أخرجت من حقيبتها منديلا صغيراً وراحت تبكى بحرقة . فنهض هولمز من مقعده وقال لها :

— سأتولى مسألتك . ولا شك عندى فى أننا سنصل إلى نتيجة حاسمة . فاتركى لى الموضوع . ولا تقلقى بالك بالتفكير فيه ، وأنصحك قبل كل شىء أن تسقطى مستر هوسمر آنجل من بالك كما اختفى من حياتك

— ألا تظن إذن أننى سأراه بعد ذلك أبداً يا مستر هولمز ؟

— أخشى أن لا تريه بعد ! !

— فماذا حدث له إذن ؟

— اتركى هذا لى أنا . وأحب أن تعطينى أوصافه بدقة وأن تقدمى لى أى خطاب يكون لديك منه

— لقد أعلنت عن فقـده بأوصافه كاملة فى العدد الأخير من سترداى كرونكل (ومعناها مجلة يوم السبت) . وهذه هى القصاصة . وهذه أربعة خطابات منه

— شكراً لك . وما عنوانك ؟

— ٣١ شارع ليون بكاميرويل

— لقد قلت لى إنك تجهلين عنوان مستر آنجل . فما عنوان محل عمل زوج أمك ؟

— إنه يشتغل لحساب ويست هاوس وثاربانك ، من كبـار مستوردى الخمور بشارع فرنشرش

— شكراً لك . لقد أوضحت كل شىء . فاتركى الأوراق هنا . واعملى قدر الامكان بالنصيحة التي زودتك بها . كى لا تؤثر هذه الحادثة المؤسفة على مجرى حياتك العقلية والعاطفية فى المستقبل

— انك لرقيق القلب جـداً يا مستر هولمز . ولـكنى لا أظننى أستطيع العمل بهذه النصيحة ، وسأظل علي عهد هوسمر ، حتي يجدنى على أتم الاستعداد لاستقباله حين يعود ، مهما طال به الغياب

والواقع أنها بدت فى حماستها صورة واضحة للنبل تسترعى الاحترام ، ثم وضعت الأوراق على المائدة وخرجت ، فجلس هولمز صامتاً بضع دقائق ، وعيناه معلقتان بالسقف ، ثم تناول غليونه العتيق المصنوع من الخزف ، والذى أعرف بحكم العشرة الطويلة أنه مستشاره الأمين فى المعضلات ، ثم راح ينفخ حلقات الدخان كثيفة زرقاء . وأخيراً قال :

— مسألة مسلية ...!

— يبدو يا هولمز أنك قرأت فى هذه المرأة أشياء لم تقع عليها عينى

— ان أهم شيء فى المرأة أكمام ثوبها ، وأطراف أظافرها، ورباط الحذاء. وقد لاحظت على كمها خطوطاً لا يمكن أن توجد إلا من أثر مائدة الآلة الكاتبة. ثم لاحظت على جانبي أنفها أثر مشبك النظارة التي لا تلبسها خارج البيت. ومن هذا استنتجت أنها ضعيفة البصر وكثيرة الكتابة على الآلة الكاتبة. ثم رأيت حذاءها غير مربوط بعناية ، فأدركت أنها خرجت من البيت بعجلة شديدة. والآن أرجو أن تقرأ لى نص الإعلان الذى به أوصاف مستر هوسمر آنجل

فتناولت الصحيفة التي بها العنوان وقرأت ما يلى :

« فقد فى صباح ١٤ الجارى سيد اسمه هوسمر آنجل. طوله نحو خمس قدام وسبع بوصات. قوى البنية. أسود الشعر. وفى وسط رأسه صلع خفيف. له شارب كث. وعوينات ملونة. فى كلامه لعثمة خفيفة. موظف بشركة فى شارع ليدن هول. ومن لديه أى معلومات فليتكرم الخ ... »

— والآن لننظر فى الخطابات

وتناول الخطابات فقلبها بين يديه برهة ثم قال :

— كل شيء فيها عادى جداً غير ملفت للنظر ما عدا أمر واحد

— انها مكتوبة على الآلة الكاتبة ، أليس كذلك ؟

— نعم ، وأهم من هذا أن الامضاء أيضاً مكتوب بالآلة الكاتبة

— هذا غريب جداً. ولكنه لايهدينا الى شيء. بل يزيد الأمر غموضاً

— بالعكس لعل هذا هو الأثر الوحيد الحاسم

— وكيف كان ذلك ؟

— عجباً لك. كنت أظنك فهمت شيئاً. ومع هذا فلنترك الحديث فى هذه النقطة. وسأكتب خطابين يترتب عليهما جلاء كل غموض يكتنف هذا الموضوع. أحدهما الى شركة والآخر الى زوج أم الفتاة المستر ويندى بانج ، أطلب إليه الحضور لمقابلتنا هنا فى الساعة السادسة من مساء الغد. ولا يمكننا

عمل أى شىء قبل أن يصل إلينا رد هذين الخطابين

وانصرفت ذلك اليوم ، وشغلت فى اليوم التالى بمريض كانت حالته خطيرة، فلم أعد إلى شارع بيكر إلا قبيل الساعة السادسة ، وأنا أخشى أن يكون قد فاتنى الفصل الختامى من هـذه المشكلة ، ذلك الفصل الذى قد يكون فيه حل ألغازها . ولـكنى وجدت شرلوك هولمز لحسن الحظ وحده جالساً فى مقعده المألوف ومن حوله جملة أنابيب اختبار تنبعث منها رائحة الاحماض ، مما دلنى على أن صديقى قد قضى سحابة النهار فى التجارب الـكيماوية التى كانت أثيرة لديه جداً . وبادرته بالسؤال عن القضية قائلا :

— هل جلوت السر الغامض ؟

— لم يكن هناك سر غامض حتى أجلوه . وإن كانت هنـاك تفاصيل فى هذه القضية أثارت اهتمامى . وأعظم ما غاظنى فى القضية أنه ليس هناك قانون صريح يتسنى به عقاب ذلك النذل

— ولـكن المهم يا عزيزى هولمز فى الموضوع من هو النذل ؟ وما غرضه من العبث بالآنسة سوذرلاند ذلك العبث الذى لم يستفد منه شيئاً ؟

ولم تكد آخر كلمات سؤالى تخرج من فمى ، وقبل أن يهم هولمز بالرد علىّ ، سمعنا وقع خطوات ثقيلة فى البهو الخارجى ، ثم صوت طرقات على الباب، فقال هولمز كأنه يدعونى للسكوت :

— هذا زوج أم الفتاة الذى يدعى جيمس ويندى بانك . فقد كتب إلىّ هذا الصباح أنه سيكون هنا فى السادسة . ادخل !

ودخل رجل متوسط القـامة يناهز الثلاثين من العمر ، حليق اللحية والشارب ، له عينان رائعتان فى اتساعهما وقوة نظراتهما ، رماديتا اللون ، ونقل بيننا بصره كالمتسائل أينـا يكون هولمز . ثم وضع قبعته الحريرية على مشجب صغير وانحنى انحنـاءة يسيرة ، ثم جلس فوق أقرب كرسى . فقال له هولمز :

— طاب مساؤك يا مستر جيمس ويندى بانك

ثم أشار هولمز إلى خطاب كان أمامه وقال :

— أظن يا مستر ويندى بانك أنك مرسل هذا الخطاب المكتوب على الآلة الكاتبة تحدد فيه موعداً لزيارتى فى تمام السادسة

— نعم ياسيدى أنا مرسل هذا الخطاب . وأخشى أن أكون قد تأخرت عن الموعد قليلا . ولكنى كما تعلم مستخدم لا أملك التصرف فى وقتى . وإنى آسف أيضاً أن الآنسة سوذرلاند قد أزعجتكم بموضوعها التافه ، لأننى أميل إلى استحسان كتمان مثل هذه المسائل العائلية عن الناس . ولهذا كان حضورها إليكم على غير إرادتى . ولكنها كما لاحظتم فتاة عصبية مندفعة ، لا تستطيع التحكم فى أعصابها متى صممت على شىء . ولست بالطبع أعترض على إطلاعكم شخصياً على الموضوع ، ما دمتم على غير صلة رسمية بالشرطة . ولكن ليس من المستحب على كل حال إذاعة مثل هذه المأساة التى تسىء إلى مستقبلها . ثم ان كل مجهود فى هذه المسألة يضيع سدى ، فكيف يمكن بالله عليك أن تعثر لها على هذا المدعو هوسمر انجل ؟

فأجابه هولمز بهدوء :

— بل لدى على العكس مما تقول دواع كثيرة للاعتقاد أننى سأنجح فى اكتشاف مستر هوسمر انجل

فأجفل مستر ويندى بانك ، وسقط قفازه من يده على الأرض وقال :

— يسرنى كثيراً أن أسمع هذا

— من الطريف حقاً أن الآلة الكاتبة لها من الخصائص المميزة مثل ما للخط اليدوى . فاذا لم تكن الآلتان جديدتين تماماً ، ومن صنع محل واحد ، فان كتابتهما لا يمكن أن تكون متماثلة ، فبعض الحروف تبلى قبل غيرها ، وبعضها الآخر يبلى من أحد جانبيه دون الجانب الآخر . فاذا نظرنا الآن إلى خطابك الذى بعثته اليوم يا مستر ويندى بانك للاحظنا عيباً فى جميع حروف

الألف والراء . وهناك أربعة عشر علامة مميزة غير هاتين العلامتين ، ولكن في هاتين العلامتين الظاهرتين الكفاية

فحملق ويندى بانك فى هولمز وهو لا يدرى ما وراء هذه الكلمات وقال معتذراً :

— لا تؤاخذنى . فاننا نكتب جميع خطابات الشركة على هذه الآلة . فلا عجب أن يصيب بعض حروفها العطب يا مستر هولمز

— والآن سأطلعك يا مستر ويندى بانك على شىء لا شك عندى أنك ستجده طريفاً جداً . فهذه أربعة خطابات مرسلة من العريس المفقود إلى الآنسة سوذرلاند . وهى جميعها مكتوبة على الآلة الكاتبة وجميع حروف الألف والراء فيها متآكلة بنفس الصورة الموجودة فى خطابك لى . ولو أنك تناولت العدسة المكبرة كما فعلت أنا ودققت النظر لوجدت العلامات المميزة الأخرى وعددها أربع عشرة علامة متوفرة فيها جميعاً

فقفز مستر ويندى بانك من مقعده وتناول قبعته وقال :

— أنا لا أستطيع أن أضيع وقتى فى مثل هذا الكلام يا مستر هولمز . فاذا استطعت أن تقبض على الرجل المفقود اقبض عليه . ولا تنس فى هذه الحالة أن تخبرنى بنبأ عثورك عليه . والآن طاب مساؤك

واتجه نحو الباب . ولكن هولمز كان أسبق منه إلى الباب فأقفله بالمفتاح وقال :

— طبعاً ، وها أنذا أخبرك الآن أننى قبضت عليه !

فصاح مستر ويندى بانك وقد اصفر وجهه وابيضت شفتاه وهو ينظر فيما حوله نظرة الفأر أطبقت عليه المصيدة :

— أمسكته ؟ من ؟ أين ؟ متى ؟

فقال له هولمز بصوت يسيل رقة وعذوبة :

— لا جدوى من هذا كله . لا فائدة حقاً . ولا مخرج لك يا مستر

ويندى بانك . ولم يكن يليق بك أن تقول ما قلته الآن من أننى أعجز عن حل مثل هذا اللغز البسيط الشفاف . والآن اجلس ودعنا نسوى الموضوع وديا . .

فتهاوى الزائر فى مقعده ، وقد راح جبينه يتصبب عرقاً ، ثم همس :

— لا عقاب فى القانون على ذلك

— أخشى ألا يكون هناك عقاب فعلا على مثل هذه النذالة . ولكن فيما بيننا يا مستر ويندى با نك ، كان عملك صادراً عن قسوة وأنانية وخسة لم أشهد لها مثيلا فيما مر بى . والآن سأسرد أمامك سلسلة الحوادث . وأرجو أن تبين لى الخطأ إذا تبينت خطأ فى استنتاجى

واستقر هولمز فى مقعده فى وضع مريح ، وأنشأ يتكلم بصوت حالم كأنه لا يخاطب أحداً إلا نفسه . قال :

— تزوج الرجل امرأة أكبر منه كثيراً فى السن طمعاً فى مالها ، وتمتع بالاستيلاء على ريع الابنة بحكم معيشتها مع أمها ومعه . وكان هذا الريع ومقداره مائة جنيه مبلغاً له أهميته ، ولا يستطيع الرجل الجشع أن يواجه الحرمان منه بنفس راضية . فبذل أقصى مجهوده للاحتفاظ به . وكانت الفتاة طيبة القلب لينة العريكة ، ولكنها عاطفية . ومقبولة شكلا ، وتميل إلى المرح ، مما يجعل عثورها على زوج مناسب أمراً ميسوراً ، ولا سيما لأن لها دخلا خاصاً لا يستهان به . فماذا يفعل زوج الأم الطماع لمنعها من الزواج والابقاء على هذا الايراد ؟ لقد لجأ أولا إلى المعارضة فى خروجها للزيارة أو التردد على الكنيسة ومدارس الأحد ، وكان يمنعها من باب أولى من مخالطة من هم فى سنها من الشبان . ولكن هذه الخطة لم تتيسر لها النجاح مدة طويلة ، لأن الفتاة أصرت على حضور حفلة راقصة معينة ، وتشبثت بذلك . فماذا يستطيع زوج الأم أن يفعل كى يمنع وقوع الكارثة ؟ لقد تفتق ذهنه عن خطة بارعة بقدر ما هى خسيسة . فبمساعدة زوجته التى ضحت بكل شىء فى سبيل هذا

الزوج الصغير السن استطاع أن يتنكر ، ويخفى هاتين العينين بمنظار ملون ، ووضع شارباً مستعاراً وسالفين طويلين ، وأغرق صوته الرنان فى حشرجة ، وقد أعانه على ذلك قصر نظر الفتاة ، وهكذا ظهر فى عالم الوجود مستر هوسمر انجل ، وكل مهمته أن يطرد العشاق ، بأن يتولى هو مهمة العشق

فغمغم ويندى بانك قائلا :

— لقد قصدنا بها فى مبدأ الأمر أن تكون دعابة عملية ، ولم نكن ننوى أو نتوقع أن تنجح اللعبة إلى هذا الحد

— ولكنها نجحت ، فقررتما الاستمرار فيها ، وكانت هذه الرحلات إلى فرنسا بقصد إتمام الملعوب . ولهذا اتفقت مع زوجتك على مسألة القسم ، حتى إذا حدث الاختفاء بعد ذلك بقيت الفتاة المسكينة على العهد ، وظلت تنتظر العريس المفقود ، ، إلى أن تمضى السنوات وهى عانس بغير زواج

وعند ما وصل هولمز إلى هذا الحد كان ويندى بانك قد استرد شيئاً من رباطة جأشه وثقته بنفسه ، فوقف وعلى وجهه ابتسامة ساخرة فقال :

— قد يكون الأمر كماذكرت وقد لايكون يامستر هولمز، ولكن إذا كان لديك من الذكاء بقدر ما يبدو عليك ، فأنت لا شك تعلم ان مافعلت أنا ليس جريمة يعاقب عليها القانون ، ولكن ما تفعله أنت الآن معاقب عليه قانوناً ، فاقفالك الباب بالمفتاح وحبسى بداخله كرهاً أمر غير جائز قانوناً

فقال هولمز وهو يفتح الباب على مصراعيه :

— ان القانون كما تقول عاجز عن مؤاخذتك . ولكن هذا لا يمنع انه لم يوجد على وجه الأرض رجل أحق بالعقاب منك . ولو انه كان لهذه الشابة الطيبة المسكينة أخ أو صديق لكان من الواجب عليه أن يجلدك بالسوط تأديباً لك . ومع انه ليس من واجباتى نحو موكلتي أن أقوم لها بهذه المهمة ، إلا أننى أجد دافعاً من نفسى للقيام بها

واتجه شرلوك هولمز نحو السوط المعلق على الحائط ، ولكن قبل أن يصل

اليه كانت هناك طرقعة سريعة فوق درجات السلم ، اختفى على أثرها مستر جيمس ويندى بانك عن أنظارنا . فقال هولمز ضاحكا وهو يستلقى فوق المقعد

— انه لنذل جرىء . وأحسبه سيتدرج من جريمة لا عقاب عليها مخدوعاً بذكائه إلى جريمة تقع تحت طائلة القانون . وانه لحرى أن ينتهى يوماً إلى اللمان. والحقيقة أن القضية لم تكن خالية تمام الخلو من بعض اللذة لى

— ولكن يخيل إلى انى لم أستطع تتبع سلسلة استنتاجاتك ياهولمز

— لقد كان ظاهراً من أول وهلة أن هذا المدعو هوسمر أنجل لا بد أن يكون لديه دافع قوى للاقدام على هذا التصرف الغريب . وكان ظاهراً أيضاً من أول وهلة أن الشخص الوحيد الذى يمكن أن يستفيد من تعطيل الفتاة عن أى زواج هو زوج أمها . فاذا أضفنا إلى هذا ان زوج الأم والعريس لم يجتمعا قط فى مكان واحد ، فحينما يبدو أحدهما يختفى الآخر ، كان من السهل أن يتجه التفكير إلى أن فى الأمر خدعة تنكر . ومما قوى هذه الشبهة ان العريس المفقود لم يكن يكتب اليها على الآلة الكاتبة فقط ، بل كان يمضى خطاباته بالآلة الكاتبة ايضاً . مما يوحى بأن خطه معروف لديها جيداً ويخشى أن يفتضح إذا رأت أصغر (عينة) منه . وأحببت أن أقطع الشك باليقين فبعثت إلى زوج الأم خطابى بعنوان الشركة فجاءنى الرد على الآلة الكاتبة ، ومنه اكتشفت أن الخصائص المميزة لهذه الآلة متوافرة فى رسائل العريس المفقود . وهذا هو كل شىء . فقد تمت به الرواية فصولا

— والآنسة سوذرلاند !

— أخشى إذا قلت لها الحقيقة ألا تصدقنى . وان هذا ليذكرنى بقول الشاعر الفارسى حافظ شيرازى ان من يحاول تبديد الأوهام من عقل امرأة يركب من الخطر ما يركبه من ينتزع شبل النمر من بين أحضان أمه

ماساة وادى بوسكومب

- ٤ -

أهم الأشخاص

- **الدكتور وطسن**
- **شرلوك هولمز**
- **لستراد** : مفتش اسكتلنديارد
- **مكارثى** : مزارع وجد مقتولا بجانب بحيرة
- **جيمس مكارثى** : ابنه الوحيد ومتهم بقتله
- **مارى تيرنر** : ابنة صاحب الضيعة وحبيبة جيمس مكارثى
- **المستر تيرنر** : صاحب الضيعة . شيخ مريض وصديق قديم للقتيل

كنت جالساً مع زوجتى على مائدة الافطار ذات صباح عندما أحضرت الخادمة برقية فضضتها فوجدت أنها صادرة من شرلوك هولمز ، وفيها هذه السطور :

— هل تستطيع أن تترك عملك يومين ؟ جاءتنى الآن برقية من غرب انجلترا بخصوص مأساة وادى بوسكومب . يسرنى أن تأتى معى. الجو والمناظر الطبيعية هناك رائعة . أغادر محطة بادنجتون بقطار الحادية عشرة والربع

ولما كانت حوائجى فى السفر دائماً قليلة وبسيطة ، فسرعان ما كنت مستقلا عربة إلى محطة بادنجتون ومعى حقيبتى الوحيدة . وهناك وجدت شرلوك هولمز يتمشى على الرصيف جيئة وذهاباً ، وقد ارتدى حلة للسفر رمادية وعباءة فضفاضة من اللون نفسه

وقد تلقانى هولمز بالترحيب والشكر قائلا :

— انه مما يساعدنى كثيراً أن يكون معى شخص أستطيع الاعتماد عليه كل الاعتماد . فالسلطات المحلية بالأقاليم فيها دائماً أحد عيبين كبيرين ، فرجالها إما جهلة أغبياء أو مغرضون . فاحتفظ لنا بمحلين متقابلين بجوار النافذة ، ريثما اشترى التذاكر

وكانت العربة التى ركبناها ليس بها أحد غيرنا ، وكان معنا مجموعة كبيرة من الأوراق أحضرها هولمز ، وبدأ عند تحرك القطار يقلب هذه الأوراق ويقرأ فيها بامعان ، ويسجل الملاحظات ويستغرق فى التفكير ، حتى تجاوز القطار بنا ريدنج ، وعندئذ كان قد انتهى من فحص تلك الأوراق فألقى بها فوق الرف وسألنى :

— هل سمعت يا دكتور وطسن شيئاً عن هذه القضية ؟

فقلت له وقد سرني أن أخرج عن صمتى الطويل :

— لم أسمع شيئاً ، لأنني كنت مشغولا فى هـذه الأيام الأخيرة فلم أقرأ الصحف

— الواقع أن صحف لندن لم تأت بجميع تفاصيل المـأساة . وكنت الآن أراجع آخر طبعات الصحف الاقليمية كى أستكمل التفاصيل جميعاً . ويخيل إلىّ مما اطلعت عليه أن القضية التى نحن مقبلون عليها من طراز تلك القضايا التي تمتاز بالبساطة ، وهذا ما يجعلها صعبة الحل جداً

— ان هـذا الـكلام يا عزيزى هولمز يبدو لأول وهلة وكأنه يناقض بعضه بعضاً

— ولـكنه الواقع بحذافيره . فالتميز بخصائص ذاتية فى أى جريمة يخرجها عن نطاق المألوف ويجعل من تلك المميزات آثاراً يمكن تعقبها بحيث تهدينا فى آخر البحث الى المجرم الحقيقى . أما القضايا العادية التى لا تتميز بشىء خاص فانها خالية من ذلك الأثر كل الخلو . وفى هذه القضية بالذات أجمعت السلطات التي تولت التحقيق على توجيه الاتهام الى ابن الرجل المقتول ، وتدل المعلومات على عدم وجود آثار خاصة

— هل هى جريمة قتل اذن ؟

— المفروض أنهـا كذلك . وفى عزمى ألا أكون رأياً محدداً قبل أن أصل الى مسرح الجريمة وأنظر فى الموضوع بنفسى . أما الآن فانى سأشرح لك ما تجمع عندى من خطوط القضية فى بضع كلمات حتى تكون لديك فكرة إجمالية عنها

— يسرنى ذلك كثيراً ياعزيزى هولمز

— ان وادى بوسكومب بقعة من الريف لا تبعد كثيراً عن بلدة روس من مقاطعة هيرفور تشاير . وأكبر الملاك لأراضى تلك المنطقة هو المستر جون تيرنر الذى جمع ثروة طائلة فى أوستراليا ، وعاد الى انجلترا وطنه الأول منذ

بضع سنوات فاشترى جملة ضياع ومزارع متجاورة فى هذا الاقليم . وأهم هذه الضياع التى يملكها هى هاندلى ، وقد أجرها للمستر شارلز "ماكارثى ، وهو أيضاً ممن كانوا فى أوستراليا . وقد توثقت بين الرجلين المعرفة فى تلك القارة النائية . فلم يكن غريباً حينما عادا فى شيخوختهما إلى الوطن الأصلى أن يؤثرا الاستقرار جيراناً كى تدوم الصحبة القديمة . ويظهر أن المستر تيرنر كان أغنى من صديقه ماكارثى بمراحل ، ولذلك لم يشتر ماكارثى أرضاً بل استأجر ضيعة صديقه القديم . ومع هذا فان فروق الثروة لم تحل دون قيام الألفة على أساس المساواة بين الصديقين القديمين . ولماكارثى ولد واحد فى الثامنة عشرة يدعى جيمس . أما تيرنر فله ابنة واحدة فى هـذه السن نفسها تدعى مارى . وكلا الرجلين أرمل . ويبدو انهما قد أصرا على عدم الاختلاط بجيرانهما من الأسر الانجليزية الصميمة التى تقيم فى هـذا الإقليم منذ أجيال ، مفضلين الاعتكاف والعزلة . وكل ما هنـاك أن جيمس ماكارثى ومارى تيرنر كانا يحبان الصيد والقنص وسبـاق الخيل ، فكانا يشاهدان كثيراً فى جميع حفلات السباق فى البلاد المجاورة . وكان ماكارثى يستخدم رجلا وفتاة لخدمة البيت . أما تيرنر فيعيش عيشة بذخ ويقوم على خدمة بيته أكثر من ستة من الخدم . وهذا هو مجمل ما تجمع عندى من أخبار الأسرتين

— وماذا ياعزيزى شرلوك هولمز عن تاريخ الجريمة نفسها ووقائعها ؟

— فى الثالث من يونيه ، أى فى يوم الاثنين الماضى ، غادر ماكارثى الكبير بيته فى ضيعة هاذرلى فى نحو الساعة الثالثة من بعد الظهر ، وذهب سيراً على الأقدام إلى بحيرة بوسكومب ، وهى بحيرة صغيرة كونهـا فى مجراه ذلك النهير الصغير الذى يشق أراضى وادى بوسكومب . وكان ماكارثى قد قصد فى صباح ذلك اليوم إلى بلدة روس ومعه خادمه ، وعند العودة قال لذلك الخادم إنهما يجب أن يسرعا ، لأن لديه موعداً لمقابلة هامة فى تمام الساعة السادسة . فكأنه عند ما ذهب إلى بحيرة بوسكومب كان قاصداً إلى مكان المقابلة التى تحدث عنها

ووصفها بالأهمية . تلك المقابلة التي قدر له أن يذهب اليها في موعدها ،ولكنه لم يعد منها بعدذلك حياً . والمسافة مابين بيت ضيعة هاذرلي وبحيرة بوسكومب ربع ميل . وقد رآه عند مروره في ذلك الطريق شخصان ، إحدهما امرأة عجوز لم تذكر الصحف اسمها والشخص الآخر اسمه وليم كراودر ، وهو من حراس الصيد الذين يستخدمهم المستر تيرنر . وقد شهد كلاهما أن المستر ماكارثي كان يمشي وحده . وأضاف حارس الصيد إلى ذلك أنه شاهد بعد مرور مستر ماكارثي الكبير ببضع دقائق مرور المستر ماكارثي الصغير « جيمس » ، متوجهاً في نفس الاتجاه وتحت إبطه بندقية . وهو يرجح أن الابن كان يرى والده وهو يسبقه ، وأنه كان يتبعه . ويشهد هذا الرجل أيضاً أنه لم يعلق أهمية على ذلك ، إلى أن سمع في المساء بالمأساة التي وقعت . وقد شوهد الأب والابن بعد ذلك عند بحيرة بوسكومب . وهذه البحيرة عبارة عن بقعة محاطة بغابة كثيفة ، وبينهما اطار من العشب الكثيف النامي . وكانت بيشنس مورن ابنة بواب قصر بوسكومب وهي فتاة في الرابعة عشرة من عمرها في بعض أجزاء تلك الغابة المحيطة بالبحيرة تجمع الأزهار البرية . وقد قررت هذه الفتاة الصغيرة أنها شاهدت مستر ماكارثي وابنه من خلال الأشجار واقفين على شاطيء البحيرة، وبدا لها من منظرهما أنهما كانا يتشاجران مشاجرة عنيفة . كما سمعت مستر ماكارثي الوالد يخاطب ابنه بألفاظ جارحة ، كما رأت الابن بعد ذلك يرفع يده كمن يهم بضرب أبيه . وقد أفزعها ذلك العنف فزعاً شديداً . حتى انها راحت تعدو هاربة فأخبرت والدتها في البيت أنها شاهدت الرجل وابنه يتشاحنان عند البحيرة ، وانها تخشى أن يتضاربا . وما أن أتمت كلامها لأمها حتى أقبل الشاب جيمس ماكارثي يعدو فزعاً وهو يصيح أنه وجد أباه مقتولا في الغابة ، وراح يصرخ طالباً معونة البواب والد الفتاة . وكان يبدو شديد الاضطراب مجرداً من قبعته وبندقيته ، وفوق كمه الأيمن بقع من الدم الطرى . فلما تبعوه وجدوا جثة أبيه ملقاة بين الحشائش بجانب البحيرة . وقد أصيبت رأسه بضربات متكررة

عنيفة من أداة ثقيلة غير حادة ، والاصابات المذكورة مما يمكن أن يحدث بكعب البندقية مثلا ، تلك البندقية التي كانت في يد الابن ، والتي كانت في هذه اللحظة ملقاة بين الحشائش على بعد خطوات قليلة من الجثة . ونظراً لهذه الملابسات ألقي القبض في الحال على جيمس ماكارثي وصدر قرار النيابة بعد انتهاء التحقيق الأولي في يوم الثلاثاء بتوجيه تهمة القتل العمد اليه ، وفي يوم الأربعاء قدم إلى محكمة روس التي حددت لنظر القضية جلستها القادمة . وهذا هو مجمل الوقائع الرئيسية كما وردت في هذه الصحف . فما رأيك الآن ياعزيزي الدكتور وطسن ؟

— رأيي ياعزيزي هولمز انه ما من قضية تشير فيها الظروف والقرائن إلى ادانة متهم كما تشير في هذه القضية إلى ادانة ذلك الشاب . أليس كذلك ؟

فقال هولمز بعد لحظة تفكير عميق ، وهو يحك ذقنه بأصابعه الطويلة :

— ان الظروف والملابسات والقرائن أمور كثيراً ما تكون خادعة . فاذا نظرت من نقطة معينة رأيتها تشير إلى اتجاه معين ، فاذا غيرت وجهة نظرك ، رأيتها تشير بنفس القوة إلى اتجاه مضاد . ولكن لا مناص من الاعتراف بأن القضية تبدو منذرة بالخطر بالنسبة للشاب المسكين . فمن المحتمل جداً أن يكون هو المجرم فعلا . ولكن من بين سكان المنطقة اناس كثيرون ، ومن بينهم الآنسة تيرنر الابنة الوحيدة لمالك الأراضي ، يعتقدون اعتقاداً جازماً ببراءة هذا الشاب . وقد أبرقت هذه الآنسة إلى ليستراد زميلنا القديم كي يتولى القضية لمصلحة الشاب . وقد وجد ليستراد ظروف القضية محيرة له ، فأبرق إليّ ، وبهذا ترى في هذا القطار ياعزيزي الدكتور وطسن كهلين ينهبان الأرض إلى وادي بوسكومب ، بدلا من الاخلاد إلى الراحة بعد غداء طيب في شارع بيكر

— ولكني أخشى يا عزيزي شرلوك هولمز أنك ستجد صعوبة كبيرة في العثور على شيء يستفيد منه ذلك الشاب المسكين ويؤدي الى إفلاته من حبل المشنقة

فضحك شرلوك هولمز وقال :

— لا تيأس يا عزيزى وطسن فقد نعثر فى مسرح المأساة على ظروف وتفاصيل تافهة لم يلتفت إليها صديقنا ليستراد فيكون من نتيجتها تغيير مجرى القضية تغييراً تاماً . فأنا مثلا ألاحظ أن غرفة نومك يا عزيزى وطسن بها نافذة عن يمين مرآة التواليت . أليس بها ؟

— كيف بالله عرفت هذا وأنت لم تدخل حجرة نومى الجديدة مطلقاً ؟

فضحك شرلوك هولمز ، حتى أغرب واستلقى على المقعد ، ثم قال :

— المسألة فى غاية البساطة . وإن كان سواى ولا فخر لا يمكن أن يلتفت إليها . ولست أخفى عنك السر لما بيننا من صداقة قديمة . فالحقيقة أن من عادتك كما أعلم أن تحلق ذقنك كل صباح . فهى من العادات العسكرية التى تدربت عليها فى الجيش فأصبحت ملازمة لك ملازمة الظل . ولما كنت أرى الآن أن حلاقتك فى الناحية اليمنى أجود وأنعم من الناحية اليسرى . فلابد اذن أن الضوء يواجه الناحية اليمنى بحيث تكون الناحية اليسرى فى الظل ، فلا تظهر عيوب الحلاقة لك وأنت تحلق حتى تتلافاها . ومتى وصلت الى هـذه النقطة صار الاستنتاج سهلا كلعب الأطفال ، النافذة فى حجرة نومك عن يمين مرآة االتواليت

— هذا والله من أعجب العجب يا عزيزى هولمز

— وهذا بالذات هو سر مهنتى العجيبة . فصدقنى إذا كانت هناك فيما تجمع عندى من المعلومات نقط صغيرة تافهـة تبعث على الأمل فى إنقاذ الشاب جيمس ما كارثى

— وما هى هذه النقط ؟!...

— يبدو مما قرأت فى الصحف أن القبض عليه لم يتم فى الحال ، بل بعد العودة إلى مزرعة هاذرلى . فلما واجهـه الضابط بأمر القبض عليه ، لاحظ الضابط أن الشاب لم يدهش ، وقد صرح الشاب بذلك فعلا بل قال بالحرف

الواحد إنه يستحق ذلك ، ولا شك أن لهذا الكلام معناه الحاسم وأثره البعيد

— انه اعتراف صريح يا عزيزى هولمز . هذا أمر واضح لكل ذى عينين

— ولكن إذا راعينا أن ذلك الاعتراف قد تلته فى نفس واحد صرخة احتجاج تؤكد براءته التامة . وذلك يدل ولا شك على أن ما سميته أنت اعترافاً لم يكن فى الحقيقة إلا إدراكاً بسيطاً لمبلغ خطورة الظروف المحيطة به، فادراكه لذلك الخطر واعترافه به إنما هو الواقع علامة على حسن نيته

— وما قولك يا عزيزى هولمز فى اعترافه بأنه يستحق هذا ؟

— وهل نسيت يا عزيزى وطسن أن الشهود قد قرروا ما كان بينه وبين والده من مشاحنة نسى فى ثورتها ذلك الشاب مقام الأبوة فرفع يده كمن يهم بضرب أبيه ، فهل تستغرب بعد ذلك أن يؤنبه ضميره وأن يرى فى المأزق الذى وقع فيه عقاباً إلهياً على ذلك العقوق ؟

فهززت رأسى متشككا ، ثم قلت :

— ولكنى أعرف رجالا كثيرين أطبق حول أعناقهم حبل المشنقة لأسباب أتفه كثيراً وقرائن أقل دلالة من هذه القرائن المجمعة على إدانة الشاب

— وهذا ياعزيزى وطسن دليل على أن كثيرين من الرجال قد شنقوا ظلماً !

— والآن يا عزيزى شرلوك هولمز أحب أعرف قصة المأساة كما يرويها الشاب جيمس ما كارثى بلسانه ، إن كانت مذكورة فى الصحف

— أخشى يا عزيزى الدكتور وطسن أن تكون روايته للمأساة ليست فى صالحه إلى حد بعيد . وستجد هذه الرواية على كل حال مذكورة فى هذه الصحيفة الاقليمية فاقرأها بنفسك واستخلص منها ما شئت من المعلومات

وتناول هولمز مجموعة الصحف فاستخرج منها نسخة من صحيفة هيرفورتشاير فقدمها إلى ، فجلست فى الركن ورحت أقرأها بإمعان شديد ، وهى كما يلى :

— ان المستر جيمس ما كارثى الابن الوحيد للمرحوم قد أدلى بالمعلومات الآتية

« كنت غائباً عن بيتنا مدة ثلاثة أيام قضيتها فى مدينة بريستول. وقد عدت لتوى فى صباح يوم الاثنين ، فوجدت والدى غائباً عن البيت عند وصولى ، وأخبرتنى الخادمة أنه ركب إلى بلدة روس فى صحبة خادمنا جين كب . وبعد قليل سمعت صوت عجلات العربة فى الفناء ، فنظرت من النافذة ورأيته يهبط منها بسرعة ثم يخرج من الفناء ، فأدركت أنه لا ينوى دخول البيت ، فتناولت بندقيتى تحت إبطى وخرجت أنا أيضاً ، وكنت أجهل وجهة والدى . ولكنى فكرت فى قضاء الوقت إلى أن يعود بالتوجه إلى بحيرة بوسكومب بقصد صيد الأرانب فى الغابة . وفى الطريق قابلت وليم كراودر حارس الصيد ، كما شهد هو بذلك . ولكنه كان مخطئاً حين استنتج انى كنت أقتفى أثر والدى ، ذلك انى كنت أجهل تمام الجهل أنه كان يسبقنى فى نفس الاتجاه . ولما صرت على بعد نحو مائة ياردة من البحيرة ، سمعت صيحة (كووى) وهى صيحة متفق عليها بينى وبين أبى ، فحسبته ينادينى وأسرعت نحوه فوجدته واقفاً بجانب البحيرة . فأدهشنى أن أراه قد دهش كثيراً لرؤيتى ، ثم سألنى بخشونة ظاهرة ماذا أفعل هناك ، وجر الكلام بعضه بعضاً حتى احتدمت المناقشة وكادت تصل إلى التماسك بالأيدى فقد كان والدى رجلا سريع الغضب . فلما رأيت الأمر سيصل إلى ما لا تحمد عقباه ، تركته عائداً إلى مزرعة هاذرلى . ولكنى لم أبتعد عن البحيرة أكثر من مائة وخمسين ياردة حتى سمعت صرخة فظيعة من خلفى ، فأسرعت أجرى نحوه بكل قوتى فوجدت والدى يحتضر على الأرض وقد شجت جمجمته بصورة بشعة فألقيت البندقية من يدى وأخذته بين ذراعى ، ولكنه لم يلبث أن لفظ النفس الأخير . فركعت بجواره بضع لحظات مبهوتاً لا أدرى ماذا أصنع ، ثم نهضت وجريت نحو بيت البواب ، لأنه أقرب بيت من المكان وطلبت معونته . وأذكر انى حين سمعت الصرخة وعدت إلى أبى لم أجد بجواره أحداً ، ولست أدرى كيف أصيب هذه الاصابة . ولا أنكر انه لم يكن محبوباً جداً لخشونته مع الناس . ولكن ليس له أعداء بمعنى الكلمة يصل بهم الأمر إلى التربص به لقتله

وسأله النائب المحقق :

— هل صرح لك والدك بشيء وهو يحتضر ؟

— لقد غمغم بضع كلمات لم أفهم منها سوى لفظ (رات)

— وماذا فهمت من ذلك ؟

— لم أفهم أي شيء . وأحسبها من هذيان الاحتضار فى الغالب

— وما هو الموضوع الذى كان مدار الخلاف الأخير بينك وبين والدك ؟

— أفضل ألا أجيب على هذا السؤال

— وأنا مضطر لشديد الأسف أن ألح فى السؤال عن هذا الموضوع

— الواقع أنه من المستحيل علىّ فعلا أن أبوح بذلك الموضوع . ولكن كل ما فى وسعى أن أؤكد لك أنه لا علاقة له على الاطلاق بالمأساة الفاجعة التي حلت بنا

— هذه مسألة يبت فيها القضاء بكلمته . وأظن أنه لا حاجة بى إلى أن أنبهك إلى أن رفضك الاجابة على هذا السؤال بكل وضوح سوف يسبب لك اضراراً بما يلقيه عليك من ظلال الريبة والشك

— ربما . ومع ذلك لا مناص من رفض الاجابة على ذلك السؤال

— لقد فهمنا من أقوالك أن « كووى » انما هى اصطلاح بينك وبين أبيك . .

— هى كذلك فعلا يا حضرة النائب

— فكيف تفسر إذن أنه صاح تلك الصيحة وهو واقف عند شاطىء البحيرة قبل أن يراك ، بل قبل أن يعلم بمجرد عودتك من بريستول حيث قررت أنك أمضيت الأيام الثلاثة الأخيرة ؟

فظهر الارتباك على وجه الشاب المتهم وتردد كالمتحير ماذا يجيب ، ثم قال أخيراً :

— لست أدرى ...

— ألم تر شيئاً أثار ريبتك عند ما عدت إلى والدك عقب سماعك الصرخة

البشعة ، فوجدته مقتولا بتلك الاصابات ؟

— لم ألاحظ شيئاً ذا بال

— ماذا تعنى بهذا ؟

— الحقيقة انى كنت منزعجاً جداً ومرتاعاً عند ما عدت إلى أبى عقب تلك الصرخة ، فلم أكن أفكر فى شىء اطلاقاً عدا أبى . ومع ذلك فعندى احساس غامض انه كان فى طريقى اليه شىء رمادى اللون

— شىء مثل ماذا ؟

— معطف أو شىء من هذا القبيل ، عن يسارى وأنا أجرى ، فلما نهضت من جوار أبى لأجرى نحو بيت البواب مستغيثاً كان ذلك الشىء الرمادى قد اختفى فلم أره ..

— ألا تستطيع أن تحدد ذلك الشىء بدقة أكثر ؟

— كلا . هذا هو كل معلوماتى عنه

— وعلى أى مدى كان هذا الشىء من الجثة ؟

— على نحو اثنتى عشرة ياردة

— وعلى أى مدى من حافة الغابة ؟

— على مسافة مماثلة ..

— إذن حين اختفى ذلك الشىء ، كنت أنت راكعاً بجوار أبيك ، وعلى بعد اثنتى عشرة ياردة منه

— نعم . ولكن ظهرى كان جهته

وهكذا انتهت أقوال الشاب المتهم »

فلما فرغت من تلاوة هذه السطور فى الصحيفة ، أعدتها اليه وقلت آسفاً :

— لم يفت المحقق أن يلفت نظر الشاب إلى نقطة الضعف الكبرى فى أقواله يا هولمز

— ماذا تعنى يا واطسن ؟

— أعنى أن والده ناداه (كووى) قبل أن يراه ، وذلك هو التناقض الأكبر فى أقواله فعلا

فضحك هولمز ضحكة خفيفة وقال :

— ان ماتظنه أنت ، وما ظنه المحقق من قبلك ، نقطة الضعف فى أقوال جيمس مكارثى ، انما هو فى واقع الأمر أقوى نقطة فى صالحه . أفلسنا ياعزيزى وطسن ننسب إلى الفتى أمرين متناقضين كل التناقض ؟

— وما هما ؟..

— فقر مدقع فى الخيال ، وغنى فاحش فيه !

— وكيف كان ذلك ؟

— أما الفقر المدقع فى الخيال ، فذلك أيها العزيز هو عجز الفتى عن اختراع موضوع للمشاجرة بينه وبين أبيه يكفل له عطف المحلفين . وأما الغنى الفاحش فى الخيال فهو نسبة كلمة مثل « رات » إلى أبيه فى حالة النزع الأخير ، وقصة المعطف الرمادى الذى يختفى فى لحظات اختفاء غامضاً وهو على بعد خطوات منه . لا ياصاحبي ! لست على رأيك ورأى المحقق ، فأنا أميل إلى اعتقاد الصدق فى هذا الشاب ، فلولا انه صادق أمين لكان أكثر تلفيقاً لما يبدو فى صالحه ، ولما تحرج عن البوح بسبب خلافه مع أبيه ... وعلى كل حال لم يبق بيننا وبين الوصول إلى غاية رحلتنا إلا ثلث ساعة ، وعندئذ سينجلى كل شىء



وكانت الساعة قد ناهزت الرابعة حين وصلنا إلى بلدة روس الريفية الجميلة، التى تقع وسط واد حافل بالمناظر البديعة ، مشهور باعتدال الهواء ، فوجدنا فى انتظارنا على رصيف المحطة رجلا نحيف القوام ، هو المفتش لستراد من رجال سكوتلانديارد ، فركبنا معه إلى الفندق الذى حجز لنا فيه حجرة حسنة، فلما استقررنا فيها ، واحتسينا قدحا من الشاى الجيد ، قال لستراد لهولمز :

— لقد أمرت بعربة تحت تصرفك . فاننى أعرف طبيعتك المتوثبة وانك

لن تستقر ويهدأ لك بال حتى تزور المكان الذى وقعت فيه الجريمة

— تلك همة مشكورة لك أيها الصديق . ولكن المسألة مسألة بارومتر أولا

— بارومتر !؟ لست أفهم مرادك ياعزيزى هولمز . فما شأن البارومتر ؟

— ان البارومتر يقول ان الضغط الجوى تسعة وعشرون درجة . والرياح ساكنة . والسماء صافية خالية من السحب . وتحت يدى صندوق ملآن بالسجائر يحزنه ولا شك أن أهمله فلا أدخنه . وها هنا أريكة عريضة وثيرة مريحة ، سوف يحزنها ولا شك ألا أقدرها قدرها بالجلوس عليها . ولهذا لا أعتقد انه من المحتمل أن أحتاج إلى العربة هذه الليلة

فضحك المفتش لستراد ضحكة تحمل معنى الاعتداد والتسامح وقال :

— فهمت . أنت لاشك قد كونت رأيك وانتهى الأمر مما قرأته منشوراً فى الصحف . والواقع ياعزيزى شرلوك هولمز ان القضية واضحة جداً . وكلما أمعن المرء فى تفاصيلها زادت وضوحا . ولكن ماذا نصنع ؟ فليس فى الامكان رفض رجاء سيدة ولا سيما من طراز هذه الآنسة . ولقد كررت على سمعها مراراً أنه ليس هناك مايمكنك أن تصنعه ، لأننى شخصيا قد فعلت كل مايمكن. عجبا ! هذه عربة السيدة تقف بالباب

ولم يكد يتم كلماته حتى اندفعت داخلة إلى الحجرة أجمل شابة رأيتها فى حياتى. فقد كانت لها عينان بنفسجيتان لامعتان . وشفتان قرمزيتان منفرجتان ، ووجنتان تنضحان بحمرة الورد ونعومة التفاح . وقد أنساها الموقف كل تحفظ ، فراحت تنظر نحوى تارة ، ونحو هولمز تارة أخرى ، ولم تلبث غريزة المرأة أن هدتها فاستقرت عيناها على صديقى وصاحت به :

— يامستر شرلوك هولمز . كم أنا سعيدة بحضورك . وقد جئت الآن من بيتنا خصيصا لأعرب لك عن هذا الشعور ، وانى واثقة ان جيمس لم يقترف هذه الجريمة وأريد منك أن تبدأ أبحاثك ولديك مثل ثقتى فى براءته . فلا تدع الشك يتطرق إلى نفسك بهذا الخصوص ، فقد عرفته وعرفنى منذ كنا طفلين

صغيرين . وليس أحد فى الدنيـا أدرى منى بنقائصه وأخطائه . ولـكنه أرق قلبا من أن يؤذى ذبابة . فالاتهام الذى انصب على رأسه من أسخف ما يمكن فى نظر كل انسان يعرفه حق العرفة

— أرجو أن تتمكن من إبراء ساحته يا آنسة تيرنر . وثق أننى سأبذل غاية جهدى

— أظنك قرأت قرار الاتهـام . فهل كونت رأياً خاصاً ؟ ألم تجد ثغرة ينفذ منها الأمل ؟ ألست تعتقد شخصياً أنه برىء ؟

— أعتقد ان براءته ليست مستحيلة

فهتفت وهى تطوح رأسها إلى الوراء وتنظر إلى لستراد بتحد واضح :

— أرأيت ؟ أسمعت ؟ هناك أمل !

فهز المفتش لستراد كتفيه هزة ذات معنى ثم قال :

— أخشى أن يكون الزميل الفاضل قد تعجل بعض الشىء فى تكوين رأيه

— ولـكنه على صواب . أنا واثقة انه محق . فجيمس لم يقترف هذا الجرم. وانى واثقة أيضاً أنه لم يرد الافضـاء بموضوع خلافه الأخير مع والده لسبب واحد بسيط ، وذلك السبب هو ان الخلاف كان يدور حولى أنا شخصياً

فاعتدل هولمز فى جلسته وقال :

— من أى ناحية ؟

— لم يعد هناك موضع للـكتمان . فقد كانت بين جيمس ووالده خلافات حامية بسببى . فمستر ماكارثى الـكبير كان متلهفاً أشد التلهف على أن يتم زواجى من جيمس . فى حين كنت أنا وجيمس نتبادل حباً هو حب الأخ لأخته . ويضاف إلى هـذا أن جيمس لا يزال حديث السن ولم يختبر الحياة اختباراً كافياً ، فـكان من الطبيعى ألا يرغب فى الارتباط بالزواج فى الوقت الحاضر . ولهذا كانا يختلفان ويتشاجران . وإنى واثقة ان المشاجرة الأخيرة التى نشبت بينهما على شاطىء البحيرة كانت من هذا القبيل

— ووالدك ؟ هل كان مؤيداً للزواج ؟

— كلا . لقد كان على الدوام ضد هذه الفكرة . والشخص الوحيد الذى كان يؤيدها هو مستر ماكارثى الكبير . . . وأنا

— شكراً لك على هـذه المعلومات القيمة . وهل أستطيع زيارة والدك غداً ؟

— أخشى ألا يسمح الطبيب بذلك

— الطبيب ؟ . . .

— نعم . ألم يبلغك الخبر ؟ إن أبى المسكين قد انهارت صحته منذ بضع سنين . حتى حلت هـذه الكارثة فقضت على البقية الباقية من عافيته . فلزم فراشه وقرر الدكتور ويلز أنه أصبح حطاماً بشرياً ، وأن جهازه العصبي قد تمزق وتهلهل . ولا عجب . فان المستر ماكارثى الكبير كان هو الشخص الوحيد الباقى على قيد الحياة ممن عرفوا والدى أيام الشباب فى ربوع مقاطعة فيكتوريا باستراليا

— أتقولين فيكتوريا ؟ ! هذا شىء مهم جداً

— نعم تصاحبا هناك فى مناجم الذهب

— وفى هذه المناجم فيما أعتقد جمع والدك مستر تيرنر ثروته الكبيرة

— هذا صحيح . . .

— شكراً يا آنسة تيرنر . فقد كانت أقوالك هذه ذات أثر كبير فى مساعدتنا

— أرجو أن تخبرنى إذا حصلت على شىء من المعلومات أو الأخبار غداً . وأنت لا شك ستذهب إلى السجن لمقابلة جيمس . فاذا ذهبت يا مستر شرلوك هولمز فتكرم باخباره أننى واثقة كل الثقة من براءته

— لن يفوتنى ذلك يا آنسة تيرنر

— وسأنصرف أنا الآن ، لأن أبى مريض ، وهو يفتقدنى كثيراً إذا فارقته . فالى اللقاء والله معك فى مهمتك الصعبة

وانصرفت مسرعة ، ثم لم نلبث أن سمعنا صوت العربة وهى تبتعد بها ، ثم قال المفتش لستراد لصاحبى بعد لحظة صمت طويلة :

— إنى أشعر بالأسف والخجل لك يا هولمز . فكيف سمحت لنفسك أن تنعش الآمال فى صدر الفتاة وأنت تعلم أنه لا مناص من إخمادها بعد حين . تلك لعمرى قسوة منك

— ذلك أنى أعتقد أننى قد تبينت طريقى إلى تبرئة ساحة مكارثى الصغير . فهل لديك تصريح بزيارته فى السجن !

— نعم . ولكن التصريح لى ولك فقط

— إذن سأغير قرارى وأخرج الليلة . هل يوجد قطار إلى هيرفورد فى وقت مناسب بحيث نزوره هناك فى السجن ثم نعود هذه الليلة ؟

— بكل راحة . . .

— إذن هيا بنا . وأخشى يا وطسن أن يطول بك انتظارنا وحيداً ساعتين على الأقل

وصحبتهما إلى المحطة ، ثم رحت أتسكع فى شوارع البلدة ، ورجعت بعد ذلك إلى الفندق ثم رقدت فوق الأريكة وحاولت أن أتصفح رواية خفيفة للتسلية . ولكن الرواية الخيالية لم تكن فى عمق المأساة التي حضرنا لعلاجها وكشف أسرارها ، فسرعان ما اتجه تفكيرى دون أن أدرى إلى قضيتنا وإلى كل ما مر بى ذلك اليوم من حوادث . لنفرض أن رواية هذا الشاب صحيحة كل الصحة فماذا يمكن أن يكون قد حدث بهذه الصورة الجهنمية الشيطانية فى اللحظات التى انقضت ما بين فراقه لأبيه وعودته إليه بباعث من صرخاته ؟ وهل لا تدل طبيعة الاصابات فى رأس القتيل على طبيعة الجناية ، ولا سيما من وجهة نظر طبيب مثلى ؟

ولذلك ضغطت الجرس وناديت الخادم وطلبت منه مجلة الاقليم الاسبوعية ، لعلنى أجد فيها شيئاً ينير أمامى الطريق . ووجدت بها فعلا تقريراً طبياً من

جراح البلدة الذى قام بفحص إصابات الجثة . ومن ذلك التقرير تبين لى أن إصابات ثقيلة بآلة غير حادة حدثت نتيجة ضربات عنيفة كسرت العظام الخلفية من الجمجمة ، من الناحية اليسرى . وقمت بوضع علامة على جمجمتى شخصياً ، ووقفت أمام المرآة ، فتبين لى بشكل قاطع تماماً أن مثل هذه الاصابة لا يمكن أن تحدث إلا من الخلف . وكان ذلك فى صالح المتهم إلى حد ما ، لأن الفتاة الصغيرة التى كانت تجمع الأزهار فى الغابة شهدت أنها رأته وهو يتشاجر مع أبيه ، وأنهما كانا وجهاً لوجه . ولكن بقيت هناك نقطة يمكن أن تنقلب ضده . إذ ربما كان الوالد قد أدار ظهره للابن غاضباً قبل أن ينهال عليه بضرباته . ولكن المسألة على كل حال من الأهمية البالغة بحيث تستحق أن لفت إليها نظر صديقى شرلوك هولمز

ثم هناك بعد ذلك مايزعمه الفتى من أن آخر كلمات أبيه وهو يجود بأنفاسه إشارة إلى (رات) . وهو يعزو ذلك إلى الاحتضار وهذيانه . ولكنى كطبيب أعلم أن من يموت من أثر ضربة عنيفة على الرأس ينـدر أن يهذى محتضراً . فما معنى هذه الكلمة ؟ وإلى أى شىء تشير بالضبط ؟ إنها فى الغالب إشارة إلى شىء له علاقة بسبب مصرعه . ولهذا رحت أجهد ذهنى فى تقليب الأمر على وجوهه المختلفة ، ولكنى لم أهتد إلى أى حل يمكن أن يستريح إليه العقل

ثم هناك أيضاً مسألة المعطف أو الثوب الرمادى الذى رآه الشاب عن يساره وهو يسرع إلى جسد أبيه الملقى على الأرض . فاذا كان ذلك صحيحاً ، فلا تفسير لذلك سوى أن يكون القاتل قد سقط منه معطفه أو عباءته سهواً وهو لائذ بالفرار . ولاشك أنه كان من الجسارة بحيث عاد ، والشاب مشغول بأبيه ، فالتقط عباءته وانصرف

ولكنى لم أستطع مغالبة شعورى بأن المسألة كلها تكتنفها الألغاز والخوارق الصعبة التصديق . ولهذا لم أعجب كثيراً لما لمسته من اعتقاد المفتش

لستراد بأن الفتى هو القاتل ، وأنه مقضى عليه بذلك حتما . ولـكنى فى الوقت نفسه كنت مؤمناً بشرلوك هولمز وبغريزته الهادية بحيث لم أفقد الأمل فى أن تبرأ ساحة الشاب المسكين ، ولا سيما مع وجود هذه الملابسات التي تشكل فى الاتهام ولو قليلا

وكان الوقت قد بات متأخراً حين عاد شرلوك هولمز ، وعاد وحده ، لأن لستراد كان يقيم فى فندق آخر . وكان أول ما فعله عنـد دخوله أنه نظر فى زجاجة البارومتر الذى يقيس الضغط الجوى ثم قال :

ــ لا يزال الضغط مرتفعاً . وذلك من العلامات الطيبة . فلا يخفى عليك ياعزيزى واطسن أهمية عدم سقوط الأمطار قبل أن نتمكن من زيارة مسرح المأساة ، حتى لا تنطمس المعـالم والآثار . ومن جهة أخرى ياعزيزى واطسن يجب أن يكون الانسان فى أوج نشاطه حين يقدم على عمل كهذا العمل ،لذلك لم أحبب أن أتوجه إلى مكان الجريمة بعد رحلتنا الطويلة الشاقة .. ففضلت أن أرى الشاب أولا

ــ وهل حصلت منه على معلومات ذات بال ؟

ــ لم أحصل على شىء مطلقاً

ــ ألم يكن فى امكانه أن يلقى أى شعاع من الضوء على الحادث بعد تفكيره الطويل فى سجنه ؟

ــ على الاطلاق . وقد كنت مشتبهاً فى لحظة من اللحظـات أنه يعرف القاتل ، وانه كان يتستر عليه أو عليها ، ولـكنى مقتنع الآن انه واقع فى مثل حيرتنا وجهلنا ، ولـكنه يزيد علينا بما لا شك أنه يشعر به من القلق . وهو ليس لامع الذكاء أو حاضر البديهة ، وإن كان وسيما جميل الصورة ، سليم الطوية شريف النفس فيما أعتقد

فهززت رأسى وقلت متشككا :

ــ ولـكنى لا أعفيه من فسـاد الذوق بل من تعفن الذوق إذا صح أنه

كان كارهاً للزواج من فتاة رائعة الفتنة والحسن مثل الآنسة تيرنر !

— أما عن هذا الأمر يا عزيزى واطسن ، فهناك قصة مؤلمة حقاً ، فهذا الشاب يحب الآنسة تيرنر حباً جنونيا لا حد له ، ولكنه تورط منذ سنتين وهو لا يزال غلاما فى السادسة عشرة ، وكانت الآنسة تيرنر غائبة لمدة خمس سنوات فى مدرسة داخلية بأوربا فلم يكن قد رآها منذ سن الحادية عشرة ، فتعرف بفتاة تعمل ساقية فى بار بمدينة بريستول ، أوقعته فى مخالبها ، وتزوجته بعقد عرفى . ولا يعلم أحد فى الدنيا هذه القصة ، حتى ولا أبوه . ولكنك لا شك مقدر مبلغ تأثيرها عليه بعد أن أحب الآنسة تيرنر ذلك الحب الجارف الصاعق ، فهو كالمجنون ، ومثله كمثل العطشان ومجرى الماء العذب على قيد شبر منه ، وهو مع ذلك يهلك عطشاً ولا يستطيع أن يبل منه ظمأه . وهو يرى والده يدفعه إلى ذلك الزواج دفعا ، وهو شخصيا أرغب الناس فيه ، والفتاة تريد ذلك الزواج ، لأنه أعز عندها من نور عينيها ، وهو شخصيا يود لو اشترى ذلك الزواج بنور عينيه .. ولكنه يعرف مدى استحالة الأمر ، ولا يستطيع أن يصرح ، فليس أمامه سوى طلب المهلة حتى يجرب الحياة ويزداد نضوجه . وقد كان ضيقه بسره بل بكارثته هذه هو علة رفع ذراعه أمام أبيه كأنه يريد أن يضربه ، لأنه يحس النار فى داخل صدره ، ويحسها تنصب عليه من فم أبيه أيضا . فقد كان حديثهما الأخير عن الآنسة تيرنر كما قالت لنا هى شخصيا . وهو من جهة أخرى لا يملك من حطام الدنيا شيئا يعول به نفسه ، وكان والده رجلا قاسيا حريا أن يطرده من بيته ويقطع عنه جميع الموارد لو أنه عرف الحقيقة أو ارتاب فيها مجرد ارتياب .. وكان الشاب قد قضى الأيام الثلاثة التى أمضاها فى مدينة بريستول فى صحبة زوجته ساقية البار أو بعبارة أصح بائعة الهوى ، وكان أبوه يجهل أين كان وماذا كان يصنع ، ولكن الله أراد بالشاب خيراً من حيث كان يتوقع الشر والمتاعب ، فعند ما وقعت الجريمة ونشرت الصحف أنباءها ، عرفت ساقية البار ان الفتى قد يجر عليها المتاعب ،

وانه من المحتمل جداً أن يشنق ، فنفضته عنها وتخلصت منه نهائيا ، إذ كتبت اليه وهو فى سجنه تقول ان ما بينهما من زواج قد وقع باطلا ، لأن لها زوجا تزوجته من قبل ، يعيش الآن فى برمودا ، وانها تعرفت بجيمس مكارثى لتتسلى به إلى أن يعود زوجها البحار الغائب . وأعتقد ان هذه الرسالة كانت العزاء الوحيد للشاب عن كل ما لاقاه من المتاعب فى أيامه الأخيرة

— ولكن إذا كان جيمس بريئا ، فمن القاتل ؟

— من هو حقا ؟.. اسمع يا عزيزى واطسن ! أحب ان ألفت نظرك إلى نقطتين هامتين جداً . النقطة الأولى ان مكارثى الكبير كان على موعد سابق فى الساعة الثالثة عند شاطىء البحيرة . وقد باح لخادمه بذلك قبل أن يرى وجه ابنه قطعا ، لأنه كان يحسبه لا يزال غائبا ولا يدرى مقره . فلا يمكن أن يكون من سيقابله فى ذلك الموعد هو ابنه . أليس كذلك ؟

— لا شك فى هذا

— والنقطة الثانية يا عزيزى واطسن ان مكارثى المقتول قد سمع يصيح (كووى) قبل أن يعرف ان ابنه عاد من غيبته ، فلم يكن ذلك النداء إذن موجها إلى ابنه .. ويكفى هذا القدر من الكلام فى القضية هذه الليلة ، ولنتحدث فى الأدب مثلا ، إلى أن نعود للمسألة صباحا



ولم يسقط المطر ليلا كما توقع شرلوك هولمز ، وطلعت الشمس فى سماء صافية . وفى الساعة التاسعة حضر لستراد ليصحبنا فى العربة إلى مزرعة هاذرلى وبحيرة بوسكومب . وفى الطريق قال ليستراد يحدث هولمز :

— هناك خبر هام هذا الصباح . فالمستر تيرنر صاحب الضياع ساءت حالته وباتت حياته ميئوساً منها باجماع آراء الأطباء

— أهو رجل مسن ؟

— فى نحو الستين من عمره . ولكن كفاحه فى استراليا لتكوين ثروته

الطائلة أثر على صحته فيما يظهر خطمها ، ولذلك كان بادى الضعف والهزال فى السنوات الأخيرة . ثم جاءت هذه المأساة فزادت الطين بلة ، فقد كان صديقاً قديماً حميماً للمستر مكارثى ، حتى انه كان يؤجر له مزرعة هاذرلى وهى أكبر مزارعه بغير مقابل

— هذا لعمرى نبأ هام جداً ! أمتأكد أنت انه لم يكن يأخذ منه إيجاراً ؟

— نعم . وليس هذا فقط ، بل كان يعطيه هبات كثيرة وفى مناسبات شتى، وذلك أمر شائع يعرفه كل انسان فى هـذه المنطقة ، مما يدل على شدة ما بين الرجلين من ارتباط

— حقاً ؟ ألم يلفت نظرك يا عزيزى المفتش لستراد بعض الشيء أن يكون مكارثى الكبير ، الذى لا يملك شيئاً على الإطلاق ، والذى يعيش من فيض مكارم المستر تيرنر ، يتحدث عن زواج ابنه من وحيدة مستر تيرنر هذا حديث الواثق ، كأن المسألة لا تحتاج إلا إلى التقدم بالخطبة ، فيكون الايجاب والقبول بغير عقبات أو عراقيل ؟ وأن الأمر ليزداد غرابة ولا شك إذا أضفنا الى ذلك أن المستر تيرنر نفسه كان معارضاً لذلك الزواج ، فمن أين جاءت الثقة للمستر مكارثى أن المسألة ليست إلا رهن طلب ابنه يد الفتاة ؟ وقد اعترفت الفتاة نفسها بذلك . فما رأيك أنت ؟

فغمز لستراد بعينه نحوى ، وقال متهكما :

— لا تؤاخذنى يا عزيزى هولمز فانى لا أجيد الاستنتاج النظرى ولكنى لا أستطيع التغافل عن واقعة مادية لا سبيل إلى إنكارها بحال من الأحوال ، وهى الأساس فى هذه القضية

— وما هى ؟

— ان مكارثى الوالد لقى حتفه بيد مكارثى الابن . وكل رأى خلاف ذلك وهم ..

— ربما . ولكن يخيل إلىّ أن هذه هى مزرعة هاذرلى يا عزيزى لستراد. أليس كذلك ؟

— هى بعينها ...

وتراءت لى عن يسار بناية جميلة واسعة مكونة من طابقين. ووقفنا بالباب، ففتحته الخادمة لنا ، وأطلعتنا بناء على طلب شرلوك هولمز على الحذاء الذى كان يلبسه سيدها حين لقى مصرعه الفاجع . ثم أطلعتنا على حذاء للابن . وإن كان ليس هو الذى كان يرتديه ، بيد أن هولمز أثبت مقاييسه لمعرفة طابع القدم ، كما أثبت مقاييس حذاء الوالد فى سبع مواضع مختلفة . ثم خرجنا الى فناء الدار ، ومن هناك تتبعنا آثار أقدام الوالد والولد على الطريق الزراعى إلى أن وصلنا بحيرة بوسكومب

وراح هولمز يشق طريقه بين الأعشاب والأغصان الملتفة كأنه كلب الصيد المدرب حين يشم رائحة الفريسة ، حتى وصل إلى بحيرة بوسكومب . وكانت الأرض رطبة ندية ، وفيها آثار أقدام كثيرة . وراح هولمز يدور فى بعض المواضع ليعود من حيث بدأ ، وأنا ولستراد نتبعه حائرين صامتين لانفقه ماذا يصنع . ولكنى كنت واثقاً أن وراء كل حركة من حركاته غرض واضح وخطة عقلية مرتبة

وبحيرة بوسكومب هى دائرة من الماء قطرها نحو خمسون ياردة ، تقع بين مزرعة هاذرلى وبستان قصر المستر تيرنر ، ومن وراء الغابة الصغيرة المحيطة بالبحيرة يرى الواقف نوافذ القصر الحمراء

وقد أرانا المفتش لستراد البقعة التى تمت فيها الجريمة بالضبط . وكانت الأرض من الرطوبة بحيث تبينت بالعين المجردة آثار الأقدام ، وأثر سقوط جسد القتيل على الأرض بعد اصابته المروعة

أما هولمز فكان يبدو على وجهه انه قرأ على صفحة التراب الندية عشرات الأشياء الأخرى المهمة التى لم أرها أنا .. ثم التفت فجأة إلى مرافقنا المفتش

لستراد وقال له بحدة واضحة :

— ماذا كنت تصنع بالله يالستراد فى هذه البحيرة وماذا كان مرادك من الغوص فيها !

فتراجع لستراد مأخوذاً ثم قال :

— لقد اختبرت قاعها بحثاً عن سلاح أو عصا أو ما أشبه مما قد يكون أداة الجريمة ، فلم أجد شيئاً . ولكن كيف عرفت يا شرلوك هولمز اننى نزلت إلى البحيرة ، فانى لم أخبر أحداً بذلك !

— ليس لدى وقت أضيعه فى الشرح . ولكن يكفى أن تعلم اننى رأيت آثار قدمك اليمنى المفرطحة ظاهرة منتشرة فى كل مكان حول الماء ، كآثار أقدام الماشية حين تنزل مجرى الماء لتروى ظمأها ! ولننظر الآن حول موضع سقوط الجثة . هذه آثار ثمانية أقدام مسرعة وقفت حول الجسد . وواضح انها أقدام البواب ورفاقه الذين خفوا للنجدة بعد استغاثة جيمس مكارثى . ولكن ها هى ثلاثة آثار بعيدة منعزلة ، وهى آثار قدم شخص واحد ...

ثم أخرج هولمز من جيبه عدسته المكبرة وراح يفحص تلك الآثار بامعان شديد وهو راكع على الأرض تارة ، ومنبطح تارة أخرى ، وأخيراً وقف ونفض التراب عن معطفه الواقى من الماء وقال :

— انها قدم جيمس مكارثى ، أثران منها وهو سائر ، وأثر ثالث وهو يجرى ، فمقدم الحذاء واضح ، وكعبه غير منطبع فى الأرض لسرعته ، وهذا يؤيد روايته عن الحادث انه أسرع يجرى نحو والده عند ماسمع صرخته فأبصره صريعاً . وأما تلك الآثار فآثار قدم والده وهو يتمسى جيئة وذهابا شأن من ينتظر . وما هذا الأثر الغريب .؟ آه ! انه أثر كعب البندقية التى أوقفها الابن على الأرض وهو يتحدث مع أبيه . ثم ما هذا الأثر ؟ انه لعجيب حقا . تلك آثار أصابع أقدام مستطيلة فى حذاء غير مألوف الشكل .. وهى آثار مقبلة ، ثم ذاهبة ، ثم مقبلة مرة أخرى .. لا بد إذن انها القدم التى عادت لتسترد

العباءة الرمادية التى كانت على الأرض . وبقى أن نرى الآن من أين أتت هذه الآثار

ثم راح هولمز يتعقب هذه الآثار فى أغوار الغابة ، إلى أن وصل إلى شجرة التفاح الضخمة ، وهى أكبر أشجار تلك الغابة الصغيرة فوقف عندها قليلا ثم تجاوزها إلى الطرف الأقصى من الغـابة ، فركع على ركبتيه وفحص الأرض بعدسته ، ثم صاح صيحة انتصار ، وأخرج من جيبه مظروفا صغيراً جمع فيه من بين الأوراق الجافة الساقطة على الأرض قليلا من التراب ، وتنـاول من الأرض حجراً صغيراً فحصه بدقة ثم وضعه فى جيبه ، ونهض فتتبع الآثار إلى أن وصل إلى الطريق العام فتلاشت بين آثار العجلات وحوافر الخيل وأقدام عابرى السبيل

وعندئذ التفت الينا هولمز وقال بهدوئه العادى الذى رجع اليه بعد هذه الحمى الناشطة والحماسة الفائقة ، وقال لنا فى سرور واضح :

— لقد كانت قضية ممتعة حقا . وأظن هذا البيت الرمادى الصغير هو بيت البواب موران ، وسأذهب إلى هناك الآن لأنى أريد أن أتحدث إلى موران هذا قليلا ، ثم ربما كتبت ورقة صغيرة لبعض الناس ، وعندئذ قد أعود إلى الفندق لتناول الغداء ، فاسبقانى إلى العربة ريثما ألحق بكما فيها

وانقضت عشر دقائق قبل أن يعود هولمز ، فانطلقنا ولا يزال الحجر الصغير فى يد هولمز ، وهو ذلك الحجر الذى التقطه فى الغابة من بين أوراق الشجر الجافة . وبعد لحظة صمت قصيرة قدم الحجر إلى لستراد قائلا :

— ربما كانت له بعض الفائدة عندك يا لستراد ، فلو عثرت عليه لما احتجت إلى التفتيش فى قاع البحيرة ، فانه هو الأداة التى تمت بها جريمة القتل أيها الصديق الهمام !

فقلب لستراد الحجر بين يديه مراراً وتكراراً ، ثم نظر إلى هولمز بدهشة وفى شىء من الاستهزاء وقال :

— لست أرى عليه أى أثر . .

— لأنه خال من كل أثر !

— إذن كيف عرفت أنه أداة الجريمة ؟

— لأن العشب كان نامياً من تحته ، وهذا دليل على أنه جسم غريب عن ذلك المكان ، وأنه وضع هناك بفعل فاعل منذ أيام قلائل . وقد فتشت فيما حوله فلم أعثر على الموضع الطبيعى الذى أخذ منه . ثم ان شكله يتوافق مع الاصابات ، ولما كان ليس هناك سلاح آخر . . .

— فهمت . والفاعل ؟

— رجل طويل القامة ، أعسر (أى يستخدم يده اليسرى بدلا من يده اليمنى) ، فى رجله عرج خفيف ، وينتعل حذاء للصيد مزدوج القدمة ، ويرتدى عباءة رمادية ، ويدخن السجائر الهندية فى فم ، وفى جيبه مطواة ثالمة النصل بليدة . وهناك خصائص أخرى كثيرة ولكن ما ذكرته كاف للاهتداء إلى شخصية القاتل

فضحك لستراد وأظهر تشككه فى كفاية هذه الاستنتاجات لاقناع المحلفين ببراءة جيمس . فضحك شرلوك هولمز ضحكة هادئة وقال بكل ثقة وفتور :

— سوف نرى ! لك طريقتك ولى طريقتى أيها العزيز . وسوف أكون مشغولا بعد الظهر ، وربما عدت إلى لندن بقطار هذا المساء

— وتترك القضية قبل تمامها ؟

— بل صارت تامة !

— والسر الغامض ؟

— أصبح واضحاً مكشوفاً !

— فمن هو القاتل إذن ؟

— الرجل الذى وصفته لك

— ولكن من هو ؟ . .

— لن يكون العثور عليه عسيراً . فليس هـذا الموضع كثيف السكان يا لستراد

— ولـكنى يا عزيزى هولمز رجل عملى ولست صاحب خيال ونظريات ، فـكيف تنتظر منى أن أطوف بالعزب أنادى : « يا اولاد الحلال ! من منكم رأى رجلا أعسر ، أعرج اليمين ؟ » فأغدو أضحوكة الناس !

— لا عليك ! هـذا مقامك فانزل واجتهد فى العثور على ضالتك ، وسأكتب اليك قبل سفرى

ووصلنا إلى حجرتنا فى الفندق ، حيث وجدنا الغداء حاضراً فوق المائدة ، فأقبلنا عليـه بشهية جيدة . وظل هولمز صامتاً وهو يأكل ، كالمستغرق فى التفكير ، ولاحظت عليه أنه يغالب آلاماً مكتومة ، وخيل إلىّ أنه حائر محرج ، ولـكنى لم أفاتحه لأننى أعرف طباعه وأنه لا جدوى من سؤاله ما لم يتطوع للكلام . وأخيراً رفع رأسه وقال فجأة بعد أن رفع الخادم المائدة وقدم لنا أقداح القهوة وانسحب :

— اسمع يا واطسن . اجلس فى هذا الـكرسى ودعنى أعظك عظة صالحة بضع دقائق

فأطعته وأنا أغالب الدهشة ، فما تعودت أن أرى هولمز واعظاً ، وراح هو يتحدث بصوت خفيض :

— الواقع يا واطسن أننى لا أدرى ماذا أصنع ، وانى أعرف لك رجاحة عقلك واستقامة ضميرك وسمو مبادئك ، ولهذا أريد منك نصيحة صادقة فى موقفى هذا ، وانه لحرج جداً . . ففى هذه القضية نقطتان وردتا فى رواية جيمس مكارثى لفتتا نظرى لوقتهما ، وإن كنت قد أدركت على الفور أنهما فى صالحه وليستا ضـده . وأول نقطة من هاتين النقطتين أن والده صاح (كووى) قبل أن يراه أو يعلم بعودته من بريستول . وأما النقطة الأخرى فان والده قال قبل أن يموت شيئاً فيه كلمة (رات) ولـكن الكلام فى جملته

غير مفهوم . ورأيي أن بحثنا يجب أن يبدأ من هاتين النقطتين

— فماذا إذن عن صيحة الأب (كووى) ؟

— لقد حسبها الفتى موجهة له ، ولكن اتضح أن أباه دهش لرؤيته حين خف إليه . فهو إذن لم يكن مقصوداً بها ، بل المقصود بها الشخص الذى كان الوالد على موعد معه عند البحيرة . فاذا نظرنا فى الصيحة نفسها وجدناها من أصل استرالى ، ويستخدمها سكان أستراليا الأصليون فمن المرجح إذن أن يكون الشخص الذى عناه مكارثى الأب بهذه الصيحة ممن عاشوا فى أستراليا من قبل

— وماذا عن كلمة (رات) ؟

فتناول هولمز عندئذ من جيبه ورقة مطوية بسطها فاذا بها خريطة لمستعمرة فكتوريا فى أستراليا ، وقال لى وهو يضع يده على جزء منها :

— لقد أرسلت فى طلبها من بريستول ليلة أمس . والآن ماذا تقرأ بجوار يدى ؟

— آرات ...

فرفع يده عن الخريطة وسألنى :

— والآن ؟..

— بالارات . .

— تماماً ! وهذه هى الكلمة التى يرجح أن المقتول كان يقولها ، ولم يتبين ابنه منها إلا المقطع الأخير . فقد كان المسكين يحاول نطق اسم قاتله منسوباً إلى بالارات . .

— هذا مدهش رائع !

— بل بسيط بديهى واضح . وقد ضاقت بذلك الحلقة ، وانحصرت أوصاف القاتل فى أنه رجل له عباءة رمادية وكان فى بالارات بالذات يوما ما .. ويمكنه اجتياز بستان خصوصى لا يجوز للغرباء أن يدخلوا فيه لأنه محروس

بعيداً . ثم هناك بعد ذلك الأوصاف التى جمعتهـا اليوم من فحص الأرض ، وذكرتها لذلك الأحمق لستراد ولـكنه لم يفقه منها شيئاً

— ولـكن كيف حصلت عليها ؟

— أنت تعرف طريقى فى الفحص . فأما الطول فانى استنتجته من اتساع الخطوة . وأما شكل الحذاء فمعرفته سهلة جداً من الطابع الموجود على الأرض . وأما العرج فمن أن القدم اليمنى كانت دائما أخف أثراً من القدم اليسرى

— وأنه أعسر ؟

— ألم تلاحظ وأنت الطبيب الخبير أن الاصابة فى موضـع معين ، هو الجهة اليسرى من الخلف ؟ وهذا لا يمكن أن يحدث بشكل طبيعى إلا باليد اليسرى . وقد وقف الرجل تحت الشجرة أثناء الخصام بين الأب والابن ، ودخن سيجارة هندية وجدت أثرها على الأرض رماداً ، وقد جمعته فى مظروف وحسبته أنت ترابا ، وقد حللته وعرفت منه أنه دخان هندى ، بما لى من خبرة فى الموضوع سجلتها كما تعلم فى رسالة لى عن المميزات الخاصـة لـ ١٤٠ صنفا من رماد السجائر ! وأما عن الفم الذى يستخدمه للتدخين ، فقد عثرت على أعقاب السجائر وجدتها خالية من أثر الشفتين أو الأسنان ، مما يدل على أنها كانت فى فم خاص ، ولـكنى وجدت كذلك أن السجائر من النوع المقفل من الطرفين ، وهى مقطوعة بحرف نصل غير حاد ، فالقطع غير منتظم مما يدل على أن مدية (مطواة) القاتل ثالمة بليدة

— لعمرى يا هولمز أنك ألقيت حول القاتل شبكة محكمة ، فلن يستطيع منها فراراً ، وأنقذت بذلك شخصاً بريئاً كان حبل المشنقة حول عنقه فقطعته بضربة سيف قاطع . وإنى أرى خلال براهينك أن القاتل هو . . .

وفى هذه اللحظة دخل خادم الفندق فأعلن فى صـوت جهورى ، كأنه تتمة عبارتى ، وهو يفتح الباب على مصراعيه :

— المستر جون ترنر !

وكان الرجل الذى دخل علينا قوى الشخصية ، مخالفاً للمألوف من أوساط الناس ، يعرج فى مشيته قليلا ، ويحمل انحناء كتفيه آثار مرض طويل تحمله الرجل فى صبر وتجلد . ولـكن نظرته القوية ، وملامحه الصارمة الحادة ، تنبي عن شخص صعب المراس ، لا يلين للأحداث . وأما أطرافه الطويلة وجوارحه الضخمة فتنبي عن قوة بدنية كانت هائلة يوماً ما . وأما وجهه الشاحب كأنه الثلج ، فيدل على حياة مهددة بالانهيار عما قريب ، ولم يفت نظرتى الطبية لأول وهلة أن ذلك الرجل يعانى أزمة قلبية لا شك فى أنها ستكون القاضية عليه . وقال هولمز برقة :

— أرجو أن تجلس على الأريكة ، فهى أوفر راحة لك ، هل وصلتك رقعتى !

— نعم . جاءنى بهـا البواب . وقد قلت فيها إنك تريد رؤيتى هنا حتى تتجنب الفضيحة ..

— أجل . فقد خشيت أن تنطلق ألسنة الناس إذا رأونى أزور قصرك فى هذه الظروف

— ولماذا طلبت رؤيتى الآن ؟

— لأننى أعرف كل شيء عن مكارثى

فغطى الشيخ المريض وجهـه بيديه فى حركة تدل على اليأس وقال بصوت أجش :

— ليغفر الله لى وليساعدنى ! ولـكنى ما كنت لأدع الفتى يصاب بسوء بسببى . وإنى أقسم لك بشرفى أننى كنت سأتـكلم وأعترف بكل شيء لو أن حكم محكمة الجنايات صدر بادانته

— يسرنى أن أسمع منك هذا القول

— وكنت حرياً أن أتكلم الآن ، لولا خوفى على سمعة ابنتي ومستقبلها ، فان الحقيقة كفيلة أن تحطم قلبها ، والقبض على أبيها سيجللها بالعار ويسحق نفسها سحقاً

— قد لا يصل الأمر إلى هذا الحد

— ماذا تعنى ؟

— انى لست رجلا رسمياً ، وقد حضرت وتدخلت فى القضية بناء على طلب ابنتك ، ولصالحها ، ولكن الذى لا شك فيه الآن ان جيمس مكارثى يجب أن يطلق سراحه وتبرأ ساحته بعد أن عرفت الحقيقة

— انى رجل هالك ، مقضى علىّ بالموت قريباً جداً . فقد أصبت بمرض السكر منذ سنوات ، وقد صرح لى الطبيب أخيراً أنه لايستطيع أن يضمن لى انى سأعيش شهراً آخر . ولكنى ولا شك أفضل أن أموت فى فراشى وتحت سقف بيتي على أن أموت فى السجن . .

فنهض هولمز وجلس على المائدة ، وتناول قلما وأوراقاً وقال للشيخ تيرنر :

— لا نريد منك إلا أن تروى حقيقة ماحدث ، وسأسجله أنا هنا ، وسيتولى الدكتور واطسن التوقيع بصفة شاهد ، وسأتولى أنا تقديم هذه الشهادة للمحكمة عند الضرورة القصوى ، إذا وجدت ان الفتى سوف يدان إن لم تقدم هذه الشهادة . وأتعهد لك انى لن أستخدمها إلا فى هذه الحالة فقط

— لا بأس ، فليس مؤكداً أنى سأعيش إلى دور الانعقاد القادم لمحكمة الجنايات . فالأمران عندى سيان ، وكل ماهنالك هو أنى كنت أحب أن أجنب ابنتي « أليس » هذه الصدمة القاسية . والآن سأوضح لك المسألة بحذافيرها ، ولن يستغرق ذلك وقتاً طويلا ، وإن كانت الحوادث ترجع إلى زمن طويل جداً . إنك يامستر هولمز لم تعرف مكارثى ، فقد كان الشيطان مجسداً فى انسان. وقاك الله من الوقوع فى براثن رجل مثله ! فقد كانت براثنه حول عنقى عشرين سنة متوالية حتى أفسد حياتى وسممها . وسأذكر لك قبل كل شىء كيف وقعت تحت رحمته . لقد كان ذلك فى حوالى سنة ١٨٦٠ فى مناجم الذهب باستراليا. وكنت أنا فى ذلك الحين غلاماً صغير السن فوار الدماء مندفعاً غراً ، فاختلطت بعشراء السوء ، وأدمنت الشراب ، وخاننى الحظ فلم أوفق فى العثور على الذهب،

فانتهى بى الأمر إلى أن صرت قاطع طريق . وكنا عصابة من ستة أشخاص ، نعيش فى البرارى على السلب والنهب حيـاة وحشية بوهيمية طليقة ، فنوقف العربات المسافرة وننهبها . وكان الاسم الذى عرفت به هو « جاك الأسود فتى بالارات » . ولا تزال عصابتنا معروفة فى اقليم فكتوريا باستراليا باسم «عصابة بالارات » . وفى ذات يوم كان معروفاً لنا أن حمولة من الذهب ستمر بنا من المناجم إلى ملبورن ، فتربصنا للسطو عليها . وكان يحرس الحمولة ستة جنود ، وكنا نحن ستة لصوص . ولـكنا تمكنا من صرع الجنود بطلقاتنا الأولى . وقتل منا ثلاثة قبل أن نستولى على الذهب . وألصقت مسدسى بجمجمة سائق العربة لأقتله ، وكان هـذا السائق هو مكارثى . وكنت أتمنى على الله لو أننى قتلته حقاً ، ولـكنى أشفقت عليه ولم أقتله ، وتركته لمصيره ، وانطلقنـا نحن بالذهب ، وأصبحنا أثرياء ، وتضخمت ثرواتنا ، وتبنا وأصبحنا من أهل الوجاهة والاحترام ، ورحلنا إلى وطننا الأصلى انجلترا ، حيث افترقت من الرفيقين ، وسلـكت حياة الاستقامة ، واشتريت هـذه الضياع المتجاورة ، وحاولت أن أنفق فى أعمال البر ما يكفر عن سيئاتى الماضية . وتزوجت ، وأنجبت وحيدتى مارى ، فزاد حبي فى الاستقامة كى أبنى لها مستقبلا ناصعاً ومركزاً مجيداً ، وفيما أنا فى أوج سعادتى واستقامتي قابلنى مكارثى فى لندن ، وكنت أزورها لشراء بعض لوازمى ، وكان فى حالة يرثى لها ، فعرفنى ، وهددنى بكشف حقيقتي إذا لم أساعده ، فآويته هو وابنه ، وأعطيتهما مزرعة هاذرلى بدون مقابل. وأصبحت منذ ذلك اليوم تحت رحمته . وزاد الأمر بشاعة بعد أن نمت مارى وترعرعت ، لأن ذلك الشيطان أدرك اننى أخشى أن تعرف الحقيقة أكثر مما أخشى أن يعرفها البوليس . فاتخذ ذلك سلاحاً يشهره فى وجهى ليحصل على كل شىء ، من المال والأثاث والهدايا والأراضى .. إلى أن طلب أخيراً شيئاً أملـكه ولـكنى لا أستطيع أن أعطيه اياه .. طلب « مارى » . فقد كبر ابنه كما كبرت ابنتى . ولما كنت قد ضعفت ، فقد صار مفهوماً أن ابنتى سترث فى

وقت قريب كل ثروتى ، فأراد الحصول عليها عن طريق تزويجها من ابنه الوحيد . ولكنى كنت حازماً فى هذه المسألة ، لأننى لن أقبل أن تختلط دماؤه بدمائى ، لا كرهاً للفتى ، ولكن كرهاً لأبيه . وراح الرجل الشرير يهدد ويتوعد . فتحديته أن يصنع ما يشاء . وضربنا موعداً فى الثالثة عند البحيرة لتصفية الموقف نهائيا . فلما وصلت إلى هناك عن طريق الغابة وجدته واقفا مع ابنه وقد نشب بينهما شجار ، فانتظرت وقطعت الوقت بتدخين سيجار حتى ينصرف الفتى . ولكن كلامه لابنه جعل الدم يغلى فى عروقى ، لأنه كان يحض ابنه على الزواج من ابنتى بدون أدنى مراعاة لرأيى ، وبغير مراعاة لرأيها هى فى الموضوع كأنها مومس لا ترد يد لامس . فجن جنونى أن أرى أعز وأقدس ما فى حياتى تحت رحمة هذا النذل الوغد الدنىء . اننى رجل ميت ، فلماذا لا أقضى على حياة هـذا النذل وأتخلص من جبروته وسيطرته علىّ وعلى ابنتى ؟ وهكذا أقدمت على فعلتى ، وإنى غير نادم ، بل مستعد لمعاودتها مرة أخرى ، حماية لهذه الفتاة العزيزة من هذا الوحش بثمن من حياتى . لقد ضربته وصرعته بغير تردد أو تألم كأنه ذبابة أو حشرة سامة . وصرخ صرخة حضر على أثرها ابنه ، ولكنى كنت قد لذت بالغابة ، بيد أنى أدركت ان عباءتى سقطت منى ، فانتهزت فرصة انشغال الفتى بأبيه وعدت فالتقطتها وانصرفت لا ألوى على شىء. وهذه هى حقيقة ما حدث

ووقع الرجل الوثيقة ، كما وقعتها أنا . ثم قال هولمز :

— لا يخفى عليك ياسيدى انك ستمثل عما قريب أمام محكمة عليا لا مهرب من قضائها . وأما هذه الوثيقة فاذا لم تحملنا الضرورة القصوى على تقديمها لانقاذ رقبة جيمس مكارثى ، فثق أننى سأعدمها حتى لا تقع عليها عين بشرية

وانصرف الرجل واثقا وشاكراً

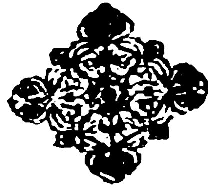


وحدث بعد ذلك أن برأت المحكمة ساحة جيمس مكارثى لعدم توافر الأدلة،

بناء على قرائن قدمها شرلوك هولمز بالاتفاق مع محاميه ..

وعاش تيرنر بعد ذلك شهوراً عديدة ، ثم مات دون أن يعرف أحد الحقيقة عن ماضيه وحاضره ، وكذلك جهل جيمس أنه قاتل أبيه ..

وعلى هذا الأساس أمكن إتمام الزواج بين الحبيبين ، فتزوج الشاب من ابنة قاتل أبيه . وجميع الدلائل تدل على ان سعادتهما لا ينقصها شيء ...



بذور البرتقال

- ٥ -

أهم الأشخاص

- **الدكتور واطسن** : راوية القصة
- **شرلوك هولمز**
- **الكولونيل أوبنشو** : من المحاربين القدماء فى الحرب الاهلية بأمريكا ومن كبار الملاك بانجلترا
- **جون أوبنشو** : ابن أخيه ووريثه الشاب
- **ساعى البريد** : يحمل الى العم ثم الى الشاب خطابا بداخله خمس بذور برتقال جافة

كنا فى أواخر شهر سبتمبر قبيل سنة ١٨٩٠ . وكانت الرياح العاصفة تجتاح انجلترا بعنف لم يعرف من قبل وراحت الأمطار الغزيرة تضرب مصاريع النوافذ ، والريح تعول وتزأر ، حتى لقد كنا ونحن فى قلب مدينة لندن نحس بالوحشة والرهبة من عناصر الطبيعة الثائرة . فما بالك بمن يعيشون فى العراء والأرض المكشوفة ، أو على صفحة الماء فى سفينة تتقاذفها أمواج كالجبال ؟

وأقبل المساء ، فزادت الرياح عنفاً ، فزاد زئيرها علوا وعتواً ، واشتدت غزارة المطر وقوته ، حتى كأن صفير الهواء فى مدخنة البيت بكاء طفل يبكى ألماً من داء خفى لا يدع له راحة

وجلس شرلوك هولمز واجماً - بتأثير الجو طبعاً - بجوار النار يرتب الارشيف الذى جمعه عن الجرائم ، أما أنا فجلست فى مقعدى الوثير أقرأ قصة جيدة من روايات المغامرات البحرية ، فكانت حالة الجو من حولى كأنها جزء من الصورة التى أطالعها عن ثوران الأنواء واضطراب العواصف . وكانت زوجتى لذلك الحين فى زيارة عمة لها فى الريف ، فعدت أقضى أيام غيابها فى مسكن العزوبة القديم مع صديق الشباب هولمز فى شارع بيكر

وفجأة سمعنا جرس الباب ، فشككت فى الأمر لأول وهلة ، ولكن الطرق تكرر ، فقلت متعجباً :

— هذا بابك يطرقه طارق يا هولمز . من يا ترى هو القادم الليلة ؟ لعله صديق من أصدقائك

— ليس لى فيما عداك أنت صديق ياعزيزى واطسن . فلست ممن يشجعون الناس على زيارتهم

— هو زبون إذن . .

— إن كان ذلك ، فهى قضية خطيرة إذن . فلولا خطورتهـا ما جشم صاحبها نفسه مشقة الحضور فى هذا الجو ، وفى هذه الساعة . . !

وما لبثنا أن سمعنا وقع أقدام تصعد السلم ، ثم تخترق البهو وتطرق بابنا ، فمد هولمز يده إلى المصباح وحوله عن موضعه ، بحيث صار هولمز فى الظل ، وتسلط النور على المقعد الشاغر الذى سيجلس فيه القادم الجديد ، ثم صاح بصوته الواضح الهادىء أن ادخل

وكان الداخل شاباً ، يتراوح عمره بين الثانيـة والعشرين والرابعة والعشرين ، وذلك على الأكثر ، فى زينة حسنة ، وقيافة تنم عن حسن الذوق والترف وطيب المنبت والنشأة . وكانت مظلته ومعطفه الواقى من المطر يقطران ماء غزيراً مما ينبىء عن الجو العاصف الذى قاساه الشاب فى حضوره إلينا . وأزاغ ضوء المصباح القوى عينيه ، فراح يتلفت حوله ، فرأيت على وجهه شحوب الارتياع ، ونظرات اللهفة والتوجس . ثم رفع الشاب منظاره الذهبى ذا السلسلة إلى عينيه وقال بصوت مهذب :

— إنى أتقدم إليكما بالاعتذار ، وأرجو ألا أكون قد أزعجتكما بتطفلى على وحدتكما ، ويؤسفنى أن أجلب إلى داخل البيت آثار العاصفة الهوجاء التى تحتميان منها بدفء هذه النار

فتناول شرلوك هولمز منه المعطف والمظلة ، فوضعهما فوق مشجب بجوار النار وقال له :

— تفضل الآن بالجلوس فى هذا المقعد ، وسيجفان عما قليل . وأراك أتيت من الشمال الغربى

— أجل . من هورشام . ولكن كيف . . ؟

— إن هـذا الطين العالق بمقدم حذائك من الخصائص المميزة للاقليم الشمالى الغربى من انجلترا ؟

— آه . لقد أتيت ياسيدى العزيز لأسألك استشارة خاصة أرجو ألا تضن بها علىّ

— المشورة سهلة مبذولة

— ولأسألك المعونة أيضاً يا سيدى

— أما هذه فليست على الدوام من السهولة بمكان !

— لقد سمعت بك يا مستر شرلوك هولمز . سمعت بك من الماجور برندر جاست الذى أنقذته من فضيحة نادى تانكرفيل فيما مضى . . فهو يشيد بفضلك أيما إشادة

— طبعاً ! فقد كان متهماً بالغش فى أوراق اللعب ، وهى تهمة تلوث شرف الرجل الشريف

— إنه يؤكد لكل إنسان أنك يا مستر شرلوك هولمز قادر على حل جميع المشاكل

— هذه مبالغة يا سيدى ..!

— وانك لا تعرف الهزيمة !

— لقد هزمت أربع مرات ، فى ثلاث منها هزمنى رجال ، وأما المرة الرابعة فقد هزمتنى فيها امرأة

— ولكن ما هذه المرات الأربع وما مبلغ قيمتها بالقياس إلى مرات نجاحك الباهر وهى لا تحصى ؟

— لقد كنت موفقاً فعلا فى معظم القضايا التى توليت أمرها فى السنوات الأخيرة

— اذن من المحتمل أن توفق فى حل قضيتى أيضاً

— كل قضية لها ظروفها الخاصة بها ، فأرجو قبل أن تعرف رأيى أن تتفضل بتقريب مقعدك من النار ، ثم تقص على تفاصيل قضيتك بما وسعك من الترتيب والوضوح ، ولا تغفل شيئاً

— أخشى ألا تكون قضيتى كالقضايا العادية

— يا سيدى العزيز ، ما من قضية تأتينى وهى عادية، فأنا الخطوة الأخيرة للقضايا المشكلة

— اعرف هذا يا سيدى . ومع ذلك فانى أتساءل إن كان قد مر بك فى جميع تجاربك الكثيرة الماضية مشكلة كمشكلتى مفككة الحلقات، حافلة بالألغاز منذرة بالأخطار . .

— لقد أثرت اشتياقى . فأرجو أن تبدأ فى سرد حوادث مسألتك منذ البداية ، ولا تخش أن أمل أو أسأم ، فان أتفه التفاصيل قد تكون أدل على السر الخفى من أبرز المظاهر

— ان اسمى «جون اوبنشو» . والمشكلة التى فزعت إليك الآن كى تحلها ليست خاصة بى أصلا ، وإنما هى ميراث فى أسرتى . ولهذا سأعود بك القهقرى الى سنوات مضت ، فاذكر لك أولا أنه كان لجدى ولدان ، عمى الياس وأبى جوزيف . وكان لأبى مصنع صغير فى كوفنترى ، وسعه وكبره عند اختراع الدراجات ، وأظنك سمعت بمصانع اوبنشو للدراجات . وقد نجحت أعماله وازدهرت ، فتمكن من بيعها لقاء إيراد ضخم . أما عمى إلياس فانه هاجر الى أمريكا فى صدر شبابه ، واشتغل بالزراعة فى فلوريدا ، وصادفه التوفيق فجمع ثروة ضخمة جداً . فلما نشبت الحرب الأهلية قاتل تحت لواء جاكسون، ثم هود ، وارتقى الى رتبة الكولونيل . فلما رفع الجنرال لى راية التسليم وانتصر جيش الاتحاد ، عاد عمى إلياس إلى مزارعه ومكث فيها أربع سنوات. فلما كانت سنة ١٨٧٠ عاد إلى أوربا ، واشترى ضيعة صغيرة فى مقاطعة ساسكس قرب مدينة هورشام . وكان قد جمع ثروة ضخمة جداً فى الولايات المتحدة ، ولكنه فارق تلك البلاد ساخطاً ، لأنه كان يكره السود ، ويناهض سياسة الجمهورية فى منحهم الحرية وحقوق المواطنين . والواقع أن عمى إلياس كان رجلا عنيفاً عنيداً سريع الغضب ، كثير السباب بذىء اللسان إذا ثار ، محباً للعزلة والاعتكاف لا يألف الناس ولا يألفونه . واعتقد أنه لم يضع قدمه فى بلدة هورشام طول السنوات التى قضاها بضيعته قربها . وكانت حول بيته حديقة كبيرة ، وحقول واسعة ، فكان يتنزه أحياناً فيها . ولكنه كان يقضى

الأيام المتعاقبة فى كثير من الأحيان لا يبرح حجرته الخاصة . وكان يسرف فى احتساء الكونياك ، ويدخن بشراهة ، ولا يقبل زيارة أحد ، ولا يصادق مخلوقاً ، حتى أخاه ، أبى . أما أنا شخصياً فكان لا ينفر منى ، بل لا أعدو الواقع إذا قلت إنه كان يميل إلىّ ، لأننى لم أكن أتجاوز الثانيـة عشرة من عمرى حين وقعت علىّ أنظاره أول مرة . وكان ذلك سنة ١٨٧٨ ، وكانت له فى ذلك الوقت تسع سنين فى انجلترا تقريباً ، لم يفكر فيها أن يرانا . فلما رآنى طلب من والدى ، وألح فى الرجاء ، أن يسمح لى بالمعيشة معه فى الضيعة ، وكان عطوفاً جداً فى معاملتى ، على طريقته الخاصة فى العطف طبعاً . فحين يكون مفيقاً من الشراب ، يداعبنى ويلاعبنى ويضاحكنى . وكان قد وكل الىّ تمثيله فى كل ما يتصل بالخدم والتجـار الذين يتعامل معهم ، فكلمتى فى تلك الأمور قانون نافذ ، وأنا سـيد البيت المطلق ، وفى يدى مفاتيحه ومفاتيح مخازنه وخزائنه ، ولى مطلق الحرية أن أذهب حيث أشاء وأتصرف كيف أشاء ، مادمت لا أكدر عليه خلوته إلى الكأس ولفائف الدخان . لكن كانت هناك حجرة واحدة لا يمتد اليهـا سلطانى ، وهى إحدى حجر السطح الصغيرة التى تستعمل لتخزين الحقائب والأثاث الزائد عن الحاجة . وكانت هذه الحجرة بالذات موصدة بقفل ضخم يحمل عمى مفتاحه شخصيا . ولا يسمح لى ولا لأى انسان بدخولها . وقد دفعنى فضولى ذات يوم أن أنظر من ثقب الباب ، فلم أر شيئا سوى الصناديق والحقائب العادية . وفى ذات يوم من أيام شهر مارس سنة ١٨٨٣ وصل إلى عمى خطاب يحمل طابع بريد أجنبيا . ولم يكن عمى يتلقى خطابات كثيرة ، فكان ورود ذلك الخطاب اليه ، ومن الخارج ، شيئا ملفتا للنظر . فلما تناول الخطاب فى يده قال فى شىء من الدهشة :

— من الهند ؟ هذا ختم بريد بوندى شرى ؟ ترى أى شىء هذا ؟ وما مضمونه ؟

ثم فتح المظروف فى لهفة ، فانتثرت منـه خمس بذرات جافة من بذور

البرتقال . فغلب عليّ الضحك لهذه النكتة العملية . ولكن الضحكة لم تلبث أن ماتت فى حلقى حين وقعت عينى على سحنة عمى المقلوبة ، وبصره الزائغ ولونه الممتقع ، وهو يتمتم ناظراً فى المظروف :

— ك . ك . ك . يا إلهى ! لقد حاق بى سوء عملى !

فسألته فى خوف ودهشة :

— ما هذا يا عمى ؟.. ما هذا ..؟

— انه الموت !.. انه الموت ..!

ثم نهض عن المائدة واعتكف فى حجرته وتركنى أرتعد خوفا وفزعا . وتناولت المظروف فاذا مكتوب عليه من داخله بالحبر الأحمر «ك . ك . ك .» وليس فيه شىء عدا بذور البرتقال الخمس . فماذا ياترى كان سبب هذا الرعب الشديد ؟ انى لم أفهم شيئا ، ولكنى أحسست الخوف يزداد سيطرة على أعصابى ، فتركت مائدة الافطار وصعدت إلى حجرتى ، فقابلته على السلالم هابطا من الطابق الأعلى وفى يده مفتاح يعلوه الصدأ لا بد أنه مفتاح حجرة السطح ، وفى يده الأخرى صندوق حديدى صغير كالذى يستعمل لحفظ النقود . فلما وقع بصره عليّ قال مزمجراً :

— قد يفعلونها . وليفعلوا ما يشاؤون ، فلا زال فى وسعى أن أهزمهم . فاخبر الخادمة انى أريد ناراً فى مدفأة حجرتى اليوم ، ثم ارسل فى طلب فوردهام محامى مدينة هورشام ليأتى فوراً

ففعلت ما أمرنى به دون إبطاء . وحضر المحامى فأدخلته حجرة عمى الخاصة ، وكانت النار فيها متقدة ، وعلى حرف المدفأة ركام أسود مما يتخلف عن حرق أوراق ، والصندوق الحديدى مفتوح أمامه على المائدة، وقد أصبح خاوياً . ولما نظرت إلى ذلك الصندوق ارتعدت فزعاً ، لأننى وجدت منقوشة عليه من الداخل تلك الحروف الثلاثة الملعونة « ك . ك . ك » . وقال لى عمى:

— اسمع يا جون . أريد أن تشهد على وصيتى التى سأكتبها الآن .

الضيعة بما لها وما عليها ، وجميع أموالى الأخرى ، لأبيك أخى ، حتى تؤول إليك فى يوم من الأيام ولا شك . فاذا آلت إليك ونعمت بها فى سلام ، فبها ونعمت . وإن لم يكن الأمر كذلك فاتبع نصيحتى واتركها لأعدى أعدائك ، لأنها لعنة ليس أشأم منها . وإنى لآسف أشد الأسف أن أتركلك تركة كهذه ذات حدين ، ولكنى لا أعلم الغيب ، وربما خلصت لك بخيرها وانصرف عنك شرها . وأريد منك الآن أن توقع على الوصية فى الموضع الذى سيريك مستر فورد هام اياه . فوقعت كما أمرنى ، وأخذ المحامى الوصية معه وانصرف كى يحفظها لحين الأجل المكتوب . ولا شك أن هذا الحادث قد ترك فى نفسى أثراً عميقاً . ورحت أقلب الموضوع فى ذهنى على وجوهه المختلفة ولكنى لم أفهم منه شيئاً ، ولم أستطع مع ذلك أن أطرده من خاطرى فى يقظتي أومنامى. وإن كان ذلك الأثر العميق قد خف قليلا بمرور الأيام والأسابيع فى سلام وهدوء . أما عمى فانه زاد إقبالا على تعاطى الخمر والتدخين فى حجرته الخاصة، حتى إذا ثمل تماماً فتح الباب وخرج مندفعاً إلى الحديقة ومسدسه فى يده ، فيطلق منه الرصاص فى الهواء وهو يصرخ صرخات جنونية :

— لست أخاف أحداً ! أنا بطل ! أنا لا أخاف إنساناً ولا شيطاناً !

فاذا انتهى من افراغ طلقات مسدسه ثاب إلى رشده ، وهدأ ثائره ، وعاد الى حجرته فأقفلها من الداخل ، كمن يعتصم من خطر مجهول ، ولكنه مؤكد وداهم ، وقد تصبب وجهه عرقاً رغم برودة الجو. وفى ذات ليلة يامستر هولمز خرج فى نوبة من هذه النوبات ، ولكنه لم يعد ، فلما استبطأناه بحثنا عنه فوجدناه منكفئاً على وجهه فى بركة آسنة فى طرف الحديقة ، وقد غص بالماء فمات . ولم يكشف الفحص الطبى عن آثار عنف ، فقررت المحكمة أن الحادث انتحار . ولكنى شخصياً كنت أعلم الناس بمبلغ خوفه من الموت . فلم أصدق أنه سعى إليه باختياره . ومهما يكن من شىء ، فقد انتقلت ملكية الضيعة الى والدى ، كما ورث أكثر من أربعة عشر ألف جنيه ذهباً مودعة فى بعض البنوك »

وعندئذ تصدى له شرلوك هولمز مقاطعاً ، فسأله قائلا :

— عفوك . إن روايتك من أمتع ما صادفني في حياتي . ولهذا أريد أن تحدد لي تاريخ تسلم عمك ذلك الخطاب ، وتاريخ وفاته بالضبط

— لقد وصل الخطاب في العاشر من مارس سنة ١٨٨٣ . ومات عمي بعد سبعة أسابيع من ذلك التاريخ في ليلة الثاني من مايو التالي ...

— شكراً لك . والآن أرجو أن تواصل الحديث

— وعندما تسلم والدي الضيعة قام بناء على طلبي بفحص حجرة السطح بعناية ، فوجد فيها الصندوق الحديدي ولكنه فارغ ، وقد ألصقت بغطائه من الداخل ورقة عليها ما يأتي : « ك . ك . ك . أوراق ومذكرات وخطابات وإيصالات وسجلات » . وهي تشير طبعاً إلى ما كان في ذلك الصندوق من أوراق أحرقها عمي . ولم يكن في الحجرة فيما عدا ذلك شيء له قيمة ، اللهم إلا بعض أوراق متناثرة عن يوميات وحسابات عمي إبان إقامته في الولايات المتحدة . وبعضها يرجع إلى أيام الحرب . والبعض الآخر لما بعد ذلك،ومعظمها تتصل بنشاطه السياسي ضد الوحدة بين الجنوب والشمال . وكانت إقامة والدي في الضيعة في سنة ١٨٨٤ . وقد مضت الأمور على ما يرام إلى يناير سنة ١٨٨٥ . ففي اليوم الرابع من ذلك الشهر سمعت والدي يطلق صيحة دهشة ونحن على مائدة الافطار . فنظرت نحوه ، فاذا في يده مظروف مفتوح ، وفي راحة يده خمس بذور جافة من بذور البرتقال ، وكانت على المظروف من الداخل تلك الحروف الثلاثة الملعونة « ك . ك . ك » . وتحتها سطر فيه الكلمات التالية « ضع الأوراق في المزولة الموجودة بالحديقة » . فبهت والدي وتحير ، وراح يسألني أي الأوراق تعني هذه الكلمات ، فقلت له إنها ولا شك تلك التي أعدمها عمي قبل وفاته . . ونظرت في ختم البريد فاذا الخطاب صادر من « داندي » . واقترحت أن أبلغ البوليس ولكنه أبي وأظهر الشجاعة، محتجاً بأن انجلترا بلد متحضر لا يجرؤ أحد فيه على مثل تلك الألاعيب الهمجية

والتهديدات الصبيانية . وكان والدى رجلا عنيداً لا سبيل إلى إرجاعه عن رأيه ، وقد خشى إذا أبلغ البوليس أن يصبح ضحكة الناس فى جيرتنا ، وهو المتمسك باهداب الوقار والاحترام ، وفى اليوم الثالث لورود ذلك الخطاب توجه والدى لزيارة صديق له قائد حامية بورتسداون . فسررت لرحيله،لأننى ظننت أن ذلك يبعده عن موطن الخطر الذى كنت أتوقعه . ولكننى كنت مخطئاً جداً فى هـذا الظن . ففى اليوم التالى جاءتنى برقية من قائد الحامية يستدعينى ، فأسرعت مذعوراً ، فوجدت والدى فاقد الرشد ، وقد تهشمت جمجمته على أثر سقوطه فى بعض الحفائر المحيطة بمزرعتنا لاستخراج الطباشير. ثم أسلم الروح دون أن يفيق من غيبوبته . وصـدر حكم بأن الوفاة حدثت قضاء وقدراً . والواقع أننى لم أستطع العثور على أى أثر للعنف أو الجريمة . فلا آثار أقدام ، ولا سرقة ، ولا خبر عن وجود غرباء فى المنطقة ، ومع هذا فلا حاجة بى إلى أن أؤكد لك أننى لم أكن مرتاح القلب من جهة الحادث ، وكنت واثقاً فى أعماق نفسى أنه راح ضحية مؤامرة محبوكة الخيوط . وهكذا آلت إلىّ هذه التركة . ولعلك يا مستر هولمز تريد أن تسألنى لماذا لم أرفض الميراث المشؤوم . وجوابى على ذلك أننى كنت مقتنعاً تمام الاقتناع أن متاعبنا كانت تتعلق بحادث معين فى حياة عمى . وأن الخطر إذا كان سيلاحقنى فليس بصفتى مالك الثروة الموروثة ، بل بصفتى سليل الأسرة . فأنا معرض له أينما كنت . وقد مات والدى فى يناير سنة ١٨٨٥ . وقد انقضت على وفاته حتى اليوم سنتان وثمانية أشهر ، نعمت فيها بحياة ناعمة فى هورشان،وبدأت أعتقد أن تلك اللعنة قد انقشعت سحابتها عن سماء الأسرة وانتهت بزوال الجيل الماضى إلى أن وصلنى بالأمس خطاب كذلك الذى وصل إلى أبى ، فيه خمس بذور جافة من بذور البرتقال

وأخرج الشاب من جيب صداره مظروفاً مطوياً وضعه فوق المائدة ، وأخرج منه البذور الخمس الجافة واستطرد مخاطباً هولمز :

— وختم البريد يدل على أنه صادر من القسم الشرقى من لندن.وداخل المظروف يحمل تلك الحروف الثلاثة « ك . ك . ك » . ومن تحتها العبارة التى وردت فى خطاب أبى ألا وهى « ضع الأوراق فى المزولة بالحديقة »

— وماذا صنعت ؟

— لا شيء . فقد أدركت أنه لا حيلة لى ولا أمل

— كلا يا أيها الرجل ، يجب أن تصنع شيئاً وإلا فأنت مقضى عليك

— لقد اتصلت بالبوليس . فأنصتوا لقصتى باسمين . وأعتقد أن مفتش البوليس حسبها دعابات عملية ، وأن وفاة عمى ثم والدى لا صلة لهما بهذه الخطابات . ولكنهم كلفوا شرطياً بالاقامة معى فى المنزل للحراسة

— وهل جاء معك الليلة ؟

— كلا . فالأوامر الصادرة إليه أن يبقى بالبيت

— لماذا لم تأت إلى فى الحال ؟

— اليوم فقط نصحنى الميجر برندرجاست بالحضور إليك

— لقد انقضى يومان منذ أن وصل إليك الخطاب . وكان يجب أن نعمل شيئاً قبل ذلك . وهل لديك أى تفصيلات أخرى ؟

— شيء واحد فقط . . !

وراح يفتش فى جيوبه ، ثم أخرج قطعة من الورق الباهت الضارب إلى الزرقة فوضعها فوق المائدة وقال :

— أذكر أننى فى اليوم الذى أحرق فيه عمى الأوراق ، أن الهوامش التى لم تحترق كانت من هذا اللون بالذات . أما هذه الورقة فقد وجدتها فوق أرض الحجرة ، وأعتقد أنها وقعت منه من بين الأوراق التى كانت فى الصندوق وبذلك أفلتت من الحريق . ولم أجد فيها كلاماً يعنينا فيما عدا الاشارة إلى كلمة بذور . وأحسبها صحيفة من مفكرة خصوصية . أما الخط فهو لا شك خط عمى

وانحنى هولمز كما انحنيت فوق الصحيفة الصغيرة وقرأنا فيها ما يلى :

« أربعة مارس سنة ١٨٦٩ . حضر هادسون

٧ منه . أرسلت البذور إلى ما كولى وبارامور

٩ منه . ما كولى جلا

١٠ منه . بارامور جلا

١٢ منه . كل شىء على ما يرام »

ورفع هولمز رأسه عن الورقة وقال لزائرنا الشاب :

— شكراً لك . ولكن يجب ألا تضيع دقيقة واحدة ، ولو لمناقشة الموضوع . وإنما يجب عليك أن تعود إلى البيت فوراً وأن تبادر إلى العمل

— وماذا تريدنى أن أعمل ؟

— ليس أمامك إلا شىء واحد ، يجب أن تعمله فوراً . ألا وهو أن ضع هذه الورقة فى الصندوق الحديدى الذى وصفته لنا . وتضع معها رسالة صغيرة تبين فيها أن عمك قد أحرق جميع الأوراق فلم يبق منها إلا هذه . ويجب أن يتضمن خطابك من التأكيد ما يجعل القارىء يقتنع بصدق ما تقول . ثم تضع الصندوق فى المزولة بالحديقة . وإياك أن تفكر فى الانتقام أو فى أى شىء من هذا القبيل فى الوقت الحاضر . فأهم شىء الآن أن نزيح الخطر عنك ، ثم بعد ذلك نتفرغ لجلاء السر الغامض ومعاقبة الجانى أو الجناة إن أمكن ذلك

فنهض الشاب وارتدى معطفه وقال وهو ينصرف :

— أشكرك يا مستر هولمز ، فقد نفخت فىّ روحاً جديدة . وسأعمل بارشاداتك حرفياً

— إياك أن تضيع دقيقة واحدة . وعليك أن تحافظ على نفسك إلى أن تصل إلى البيت . فليس عندى من شك أنك مهدد بخطر داهم . وأى طريق ستسلك ؟

— سأركب القطار من محطة واترلو

— لا تزال الساعة دون التاسعة ، والشوارع مزدحمة . لهذا أعتقد أنك ستكون فى أمان . ومع هذا أوصيك بالاحتراس الشديد

— إنى أحمل مسدساً

— هذا جميل . ومنذ الصباح سأتولى قضيتك

— هل أتوقع أن أراك فى هورسن إذن ؟

— كلا فان السر فى لندن . وسأبحث عنه حتى أجلوه

— إذن سأحضر بعد يوم أو يومين بما جد من خبر الصندوق والأوراق ، لأتلقى إرشاداتك أولا بأول

وانصرف الشاب ، وكانت العاصفة لا تزال على أشدها . ولاذ هولمز بالصمت لحظة طويلة وهو يدخن غليونه ويحدق فى النار المتوهجة فى المدفأة ثم قال :

— أعتقد يا وطسن أن هذه القضية من أغرب القضايا التى توليتها

— فيما عدا « الرقم ٤ » كما أعتقد

— ربما كنت على حق . وإن كنت أعتقد أن الخطر الذى يتعرض له هذا الشاب أشد كثيراً من الذى كان يتهدد أبطال قضية (الرقم ٤)

— ولكن إلى أى شىء يا عزيزى هولمز ترمز الحروف ك . ك . ك . ؟

— إن المسألة تتعلق بالمدة التى قضاها عم هذا الشاب فى أمريكا . فأعطنى من الرف الذى بجوارك مجلد حرف الكاف من دائرة المعارف الأمريكية

وبالبحث اتضح أن هذه الحروف تشير إلى جماعة كوكلوكس كلان

فسألت هولمز عن حقيقة هذه الجماعة فأوضح لى أنها جماعة سرية كونها أبناء الجنوب بعد انتهاء الحرب الأهلية ، ولم تلبث أن انتشرت شعبها فى جميع الولايات . وأغراضها الأساسية إلقاء الرعب فى قلوب الناخبين الزنوج وقتل المعارضين أو إجبارهم على ترك البلاد . ويسبق اغتيالاتها الغامضة على الدوام

إنذار غريب يعرفه الجميع ، هو فى بعض الأحيان مجموعة من أوراق البلوط ، وفى أحيان أخرى من بذور البرتقال . وعلى من يتلقى هـذا الانذار إما أن يعدل عن مسلكه الذى أثار سخط الجمعيـة السرية ، أو يستعد للهرب من البلاد . فاذا لم يفعل هذا ولا ذاك فانه ولا شك ملاق حتفه . وتعتبر هذه الجمعية مضرب الأمثال فى دقة تنظيمها بحيث لا يفلت أحد من أعدائها من براثنها . وقد أصيبت الجمعية فى سنة ١٨٦٩ بنكسة فجائية أخمدت نشاطها

وإلى هنا انتهى الشرح المسجل فى دائرة المعارف الأمريكية الذى قرأه لى هولمز . فالتفت هولمز إلىّ وقد لمعت عيناه وقال :

ــ ألم تلاحظ أن تاريخ خمود الجمعية يتفق مع تاريخ مغادرة عم الشاب لأمريكا ومعه أوراق الجمعية ؟ وهذا يفسر ميله للعزلة التامة . وعدم خروجه أياماً متوالية من حجرته الخاصة ، على سبيل التخفى . وربما كانت الأوراق التى أحرقت تتضمن معلومات تمس نفراً من أبرز الرجال فى الولايات الجنوبية ، ولا يهدأ لهم بال حتى يستردوها . والورقة التي أطلعنا عليها الشاب فيها إشارات إلى تواريخ إرسال البذور ، ثم جلاء هؤلاء الأشخاص ، أى مغادرتهم البلاد . ولهذا أرى أن الأمل الوحيد فى نجاة الشاب هو أن ينفذ ما أشرت عليه به ، لعل الجمعية تتركه بسلام



وطلعت الشمس فى سماء صافية صباح اليوم التالى . وقد وجدت شرلوك هولمز جالساً إلى الافطار حين صحوت ، فخاطبنى معتذراً بقوله :

ــ اعذرنى ، فقد بكرت بالافطار لأن أمامى يوماً حافلا للعناية بقضية الشاب أوبنشو وجلاء غوامضها

ــ وما هى الطريق التى ستسلكها ؟

ــ هذا يتوقف على نتيجة استعلاماتى الأولى . ألم تلاحظ يا وطسن أن الخطابات كانت صادرة من موانىء بعضها فى الشرق وبعضها فى هولندة

وبعضها من لندن . وفى اعتقادى أن المرسل يطوف البحار فى سفينة . ولما كان القتل قد حدث بعـد وصول الخطاب من الهند بسبعة أسابيع ، فذلك يدل على أن السفينة التى يركبها المرسل أبطأ كثيراً من تلك التى حملت الخطاب وهذا يبعث على الظن بأنها سفينة شراعية . ويقوى هـذا الظن أن القتل حدث بعد وصول خطاب مدينة داندى بهولندة بأربعـة أيام ، وهو فرق معقول بين سرعة سفينة بخارية وسفينة شراعية تقطعان المسافة بين هولندة وانجلترا ، فسأتولى أولا تحقيق أسماء السفن التى دخلت هذه الموانى فى التواريخ المذكورة

وفى هذه اللحظة وقعت عينى على صحف الصباح ، فقرأت عنواناً جعلنى أصرخ :

ـــ لقد تأخرت يا هولمز . فقد وجد الشاب أوبنشو غريقاً تحت قنطرة واترلو . والمظنون أن رجله قد انزلقت فى الظلام وهو فى طريقه إلى بعض السفن الراسية على شاطىء النهر . ولم توجد فى الجثة آثار تدل على العنف أو المقاومة . والمرجح أن تقيد الحادثة قضاء وقدراً

ووجم هولمز بضع دقائق محزوناً ، ثم نهض وراح يتمشى فى الحجرة وقد احتقن وجهه غضباً ، ثم قال لى :

ـــ لابد أن أنتقم لهذا الشاب الذى جاءنى مستنجداً فقتلوه وهو خارج من بيتى . وأنت تعلم أن ميناء السفن ليست على طريق الذاهب من هنا إلى المحطة ، فالمسألة لا شك عندى فى أنها جريمة قتل . وسوف نرى أينا سيتغلب فى النهاية

ثم خرج هولمز ، وقضيت يومى فى عياداتى الطبية ، فلم أعد إلى شارع بيكر الا فى ساعة متأخرة من المساء . ولم يكن هولمز قد عاد ، فانتظرته إلى أن دخل قبيل العاشرة شاحباً متعباً ، فتوجه إلى المائدة وتناول قطعة من الخبز راح يلتهمها بشراهة ، فقلت له :

ـــ أراك جائعاً ؟ . .

ــ بل أتضور جوعاً فانى لم آكل شيئاً منذ الافطار . وقد نسيت الطعام لفرط انشغالى

ــ وهل وفقت ؟ . .

ــ كل التوفيق فهم الآن فى قبضة يدى

ثم تناول من فوق المائدة برتقالة قطعها بالسكين واستخرج منها بذورها ، فانتقى منها خمساً وضعها فى مظروف خال بعد أن كتب بداخله « ش . هـ » ثم أقفل المظروف وكتب فوقه العنوان التالى « الكابتن جيمس كلعون بالسفينة لون ستار . جورجيا » . ثم قال لى هولمز باسماً :

ــ سيجد هذا الخطاب فى انتظاره حين يصل إلى ميناء جورجيا ، وسوف يداخله الرعب

ــ ولكن من هو الكابتن كلعون هذا ؟

ــ رئيس العصابة . وسأتصيد بقية الأفراد ، ولكنى أريد هذا أولا

ــ وكيف وصلت إلى معرفته ؟

ــ قضيت نهارى فى إدارة سجلات السفن أتتبع كما قلت لك السفن الشراعية التى يتفق وصولها إلى انجلترا قادمة فى التاريخ الأول من الهند وفى التاريخ الثانى من هولندة . ولفتت نظرى لأول وهلة السفينة لون ستار أى النجمة الوحيدة . فتوجهت إلى الأرصفة ، فعلمت أنها أقلعت هذا الصباح إلى جورجيا . وبالبحث تبين أن قبطانها كلعون من الولايات الأمريكية الجنوبية . وقد اتصلت بإدارة البوليس ، فخابرت ميناء جورجيا للقبض عليه وتسليمه للبوليس الانجليزى لمحاكمته بتهمة قتل الشاب اوبنشو



ولم يطل انتظارنا لاخبار السفينة لون ستار ، فقد حملت الينا الصحف بعد أيام معدودات نبأ غرقها بيحارتها جميعاً فى زوبعة شديدة قبل أن تصل إلى ميناء جورجيا

وهكذا كانت عدالة السماء أسرع من عدالة الأرض

ذو الشفة المقلوبة

- ٦ -

أهم الأشخاص

- **الدكتور واطسن** : راوية القصة
- **شرلوك هولمز**
- **عيسى ويتنى** : مدمن أفيون من عائلة محترمة
- **نيفيل سان كلير** : من أعيان « لى » بمقاطعة كنت
- **هيوبون** : متسول محترف كسيح مشوه ذو شفة مقلوبة

كان عيسى ويتنى شقيقاً للمرحوم الياس ويتنى الحاصل على الدكتوراه فى العلوم اللاهوتية ، وعميد كلية اللاهوت المكرسة باسم القديس جورج . فهو إذن من عائلة طيبة محترمة . ولكنه فى الوقت عينه كان مصاباً بآفة إدمان الأفيون

وقد حاول عيسى مقاومة ذلك الداء ، إكراماً لشقيقه عالم اللاهوت ولمركز أسرته ، ولكن محاولات التوبة أفادته اقتناعاً ثابتاً بأن مسايرة تيار العادة والادمان أسهل بكثير جداً من محاولة الاقلاع عنها ، وبذلك قضى سنوات طويلة عبداً لذلك المخدر ، ومثاراً لاشفاق أصدقائه وأقاربه

وإنى لأتخيله الآن بوجهه الأصفر البارز العظام ، وجفنيه المثقلين من فرط الادمان ، ملقى فوق مقعده ، وكأنه حطام انسان من أصل نبيل

وفى ذات ليلة من ليالى شهر يونيه سنة ١٨٨٩ ، سمعت جرس الباب ، فى تلك الساعة من الليل التى يبدأ النعاس فيها يراود الأجفان ، فتتطلع العيون إلى الساعة تطلع من يبرر نهوضه إلى الفراش ، فلما سمعنا الجرس كفت زوجتى عن أشغال الابرة التى كانت منهمكة فيها ، وظهر على وجهها الأسف وقالت لى :

— مريض ولا شك . وستضطر للخروج

فغمغمت ساخطاً ، لأننى كنت عائداً لتوى من زيارات متعددة لمرضاى فى ذلك اليوم ، حتى نال منى التعب

وسمعنا الباب يفتح ، ثم وصلت إلى آذاننا أصداء حديث سريع ، ثم خطوات تصعد السلم بسرعة ، ثم فتح باب الحجرة ودخلت علينا سيدة فى ثوب قاتم اللون ، وفوق وجهها نقاب أسود ، فقالت :

— أرجو أن تغفرا لى هذه الزيارة المتأخرة

ثم أفلت منها زمام أعصابها ، فجرت نحو زوجتى وطوفت عنقها بذراعيها

وراحت تنشج بالبكاء فوق كتفها ، وهى تصيح :

— إنى فى ورطة . فلا تخذلانى

فصاحت زوجتى وهى تنتزع النقاب من على وجه الزائرة :

— عجباً ! هذه كات ويتنى . لقد أفزعتنى كثيراً يا كات ! فلم يخطر ببالى من أنت حين دخلت على هذه الصورة

— الواقع أنى لم أكن أدرى ماذا أصنع . ولهذا حضرت اليكما

وكانت زوجتي قد تعودت من الناس ، ولاسيما صديقاتها ، أن يخفوا اليها للشكوى وطلب النصيحة أو الترفيه إذا نزلت بساحتهم متاعب الحياة ، أياً كان نوع هذه المتاعب . لذلك قالت :

— بالعكس . كان جميلا منك جداً أن تأتى . ولكن يجب أولا أن تحتسي شيئاً يعيد اليك قوتك ورباطة جأشك . اجلسى فى هذا المقعد المريح وحاولى أن تخبرينا بالموضوع فى هدوء . أم يحسن أن يتركنا واطسن وحدنا ؟

— كلا . فاننى جئت أطلب نصيحة الدكتور أيضاً . فالمسألة تتعلق بعيسى، فهو غائب عن المنزل منذ يومين ، وقد تملكنى الجزع عليه

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تحدثنا فيها هذه السيدة عن متاعبها مع زوجها أو بسبب زوجها ، إذ كانت تفضى الينا بهذه المتاعب ، بصفتي أنا طبيباً معالجاً ، وبصفة زوجتى صديقة قديمة وزميلة من زميلات الدراسة . فكنا نصغى اليها باهتمام وعطف ، ثم نطيب خاطرها بما تيسر من كلمات معزية ومشجعة

ويبدو فى هذه المرة أنها كانت تعتقد أننى قادر على اعادته اليها . فهى تعلم من أوثق المصادر أنه توجه إلى غرزة لتدخين الأفيون فى أقصى الشرق من مدينة لندن . وقد تعود التردد على هذا المكان بين الحين والحين لاشباع ميوله الشاذة . ولكن لم تكن غيبته لتطول فى الغالب عن يوم واحد ، يعود عند نهايته متداعياً مترنحاً . أما فى هذه المرة فقد طالت غيبته ثمانى وأربعين ساعة . وهى لا تشك أن النوبة هذه المرة كانت شديدة وطويلة ، وأنه لا يزال ملق

وسط أوباش البحارة صريع الأفيون . وأننا يمكن أن نعثر عليه هناك ، فى تلك الغرزة المسماة حانة الذهب فى حارة سواندام . وكل حيرتها مبعثها أنها لا تستطيع الذهاب إلى هناك ، وهى السيدة المهذبة الشابة ، لتحمل زوجها المدمن على مفارقة بطانته من حثالة الأشرار

هذه إذن هى القضية ، وكان ظاهراً جداً أنه ليس لها إلا مخرج واحد . فهى بمثابة دعوة صريحة لى أن أصحبها إلى تلك البؤرة . وبين هذه الدعوة والتساؤل لماذا تذهب معى هى أصلا ولا أذهب وحدى خطوة واحدة ، يستطيع ذكائى أن يخطوها ، فقد كنت الطبيب الخصوصى لعيسى ويتنى ، ولى عليه تأثير شخصى كاف ، بحيث لا لزوم لذهاب زوجته معى لاستحضاره

وعلى ذلك وعدتها أن أرسل زوجها اليها فى البيت فى مدة غايتها ساعتان إذا قدر لى أن أجده فى تلك الغرزة التى أعطتنى عنوانها

وهكذا غادرت مقعدى المريح وركبت عربة أسرعت بى فى طريق لم آلفه، وظنى به أنه حافل بالغرائب ، ولكنى لم أكن أتخيل فى تلك اللحظة مقدار الأعاجيب التى كتب علىّ أن أصادفها فى ذلك الطريق

وكانت المرحلة الأولى من الرحلة خالية من جميع العقبات . فحارة سوان دام زقاق قذر عفن الرائحة ، فى موضع قريب من شاطىء النهر شرقى كوبرى لندن. ووجدت تلك الحانة الملعونة قائمة بين دكانين ، فصعدت جملة درجات قادتنى إلى درجات أخرى هابطة تحت الأرض ، حتى وصلت إلى ما يشبه الكهف ، وفوق الباب مصباح من مصابيح البترول قليل الضوء كثير الدخان ، فجذبت حبل ساقطة الباب فانفتح ودخلت لأجد جو المكان مشحونا بدخان الأفيون البنى اللون وقد صفت الأرائك الخشبية العريضة فاضطجع عليها المدخنون فى استرخاء ، وقد تقوست ظهورهم وأكتافهم ، ومالت رؤوسهم فوق صدورهم أو إلى الخلف

وكان لدخولى فى ذلك الجو بعض الأثر . إذ اتجهت إلىّ عيون بعض

الجالسين هنا وهناك ، بنظرات غاب عنها البريق فكأنها خاوية من كل معنى . ولمحت من وراء الناس أشباحا قاتمة تحيط بدائرة صغيرة من الضوء الأحمر تخبو حينا وتلمع حينا آخر . فأدركت أن هذه هى النار التى يتزود منها المدخنون بالجمر الملتهب لاشعال غلايينهم المشحونة بالسم الأصفر

وكان الصمت يسود معظم الحاضرين ، وكأنهم فى غيبوبة . ولكن كان هناك فريق منهم يتبادلون حديثا هامسا يشبه اللغط

ونهض للقائى من جانب النار رجل يبدو من سحنته انه من أهل الملايو ، كان هو خادم تلك البؤرة ، فقدم إلىّ غليونا للتدخين ، وأشار إلى مكان خال كى أجلس فيه ، ولكنى قلت له :

— شكراً لك . إنى لم أحضر للجلوس . وانما مرادى ان أتحدث إلى صديق لى موجود هنا ، هو المستر عيسى ويتنى

وعندئذ أحسست حركة عن يمينى وصوت استغراب ، فحدقت فى الظلام ، وإذا بى أتبين عيسى شاحبا متداعيا مشعث الشعر والثياب يحملق فى وجهى ، ثم صاح :

— يا إلهى ! هذا واطسن . كم الساعة الآن يا واطسن ؟

— الحادية عشرة مساء تقريبا

— من أى يوم يا واطسن ؟

— من يوم الجمعة التاسع عشر من يونيه

— يا إله السماء ! كنت أظن أننا فى يوم الأربعاء . بل نحن فى يوم الأربعاء قطعا . هل أنت مسطول يا وطسن ؟ لماذا تريد إزعاجى ؟

ثم وضع رأسه بين ذراعيه وراح ينتحب بصوت عال ، فقلت له :

— نحن فى يوم الجمعة أيها الرجل ! وزوجتك لها يومان فى انتظارك . فيجب أن تخجل من نفسك وتستحى

— أنا مستح فعلا . ولكنك مسطول ولاشك يا وطسن . فأنا لم أمكث

هنا إلا بضع ساعات ، مقدار ثلاثة غلايين أو أربعة لا غير . لقد نسيت العدد بالضبط ياواطسن . ربما كانت أكثر قليلا من أربعة . ولكنى سأعود معك إلى البيت ، فإنى لاأريد أن أسبب إزعاجاً لكات الصغيرة المسكينة . خذ يدى ياواطسن . هوب ! هل معك عربة ؟

— نعم وهى تنتظرنا فى الخارج

— هى ؟ من هى ؟ كات ؟

— كلا . بل العربة ...

— إذن أركبها معك . فهى تستطيع أن تحمل اثنين . أليس كذلك ؟ والآن هيا بنا . بل انتظر . لابد أن على شيئاً هنا . تول أنت الحساب ياواطسن . فإنى أشعر بصداع ولا أستطيع أن أحاسب

فتوجهت إلى حيث كان يجلس مدير الغرزة بجوار النار ، شاقاً طريقى بصعوبة وحذر بين النيام والمسطولين ، وقد أمسكت أنفاسى حتى لا أستنشق تلك الروائح الخبيثة ودخان المخدر الملعون . فلما مررت بجوار رجل طويل القامة نحيف كان جالساً يحدق فى النار ، شعرت به يجذبنى من كمى ، ويقول لى بصوت هامس :

— تجاوزنى ثم انظر إلىّ جيداً يا وطسن

ولم يكن هناك شك فى تلك الكلمات التى سمعتها بوضوح ، فصدعت بالأمر ، ووقع نظرى على وجه الرجل ، فاذا به مملوء بالتجاعيد ، وفى يده غليون للأفيون ، ولكن نظرة واحدة إلى عينى الرجل كانت كافية . ولولا شدة سيطرتى على أعصابى لخرجت من فمى صيحة دهشة تلفت نظر جميع رواد الغرزة . فلم يكن ذلك الرجل المتنكر سوى صديقى العتيد شرلوك هولمز . وهمست أخاطبه بصوت منخفض جداً :

— ماذا تصنع فى هذه الغرزة ياهولمز ؟

— لا تصرخ هكذا . فلى أذنان كما تعلم تميزان دبيب النمال ، فاذا تكرمت

اذهب الآن وتخلص من صاحبك الأبله ، ثم عد ، فانى أريد أن أتحدث اليك حديثاً مهماً جداً

— فى انتظارى عربة أمام الباب

— إذن أرسل صديقك المسطول فيها إلى بيته ولا خوف عليه فإنه فى درجة من التخدير لا يستطيع معها أن يقدم على شىء يوقعه فى المتاعب . وأنصحك أيضاً أن تبعث مع الحوذى برسالة إلى زوجتك تخبرها أنك قابلتنى، وستدرك هى بحكم العادة أنك قد تتأخر طويلا لذلك السبب . وإذا انتظرت بالباب الخارجى فسألحق بك بعد خمس دقائق

ولم أجد حيلة فى رفض هذا الطلب ، فقد تعودت أن أطيع صديقى هولمز فى كل ما يطلب دون تردد . وكنت من جهة أخرى أشعر أن مهمتى تجاه ويتنى قد انتهت بمجرد العثور عليه وشحنه فى العربة إلى البيت . كما أنه شاقنى بعد تعب المهنة أن أرفه عن نفسى بمخاطرة مثيرة من مخاطرات صديقى القديم شرلوك هولمز . ولذلك كتبت كلمة إلى زوجتى كلفت الحوذى بتوصيلها اليها ، ثم اختفت العربة عن نظرى حاملة فى داخلها عيسى ويتنى

وإن هى إلا ثلاث دقائق حتى برز من أعماق بؤرة الأفيون شبح يترنح، ورأيت نفسى أشق حارة « سوان دام » فى صحبة شرلوك هولمز

وظل شرلوك صامتاً حتى اجتزنا شارعين ، قطعهما بخطو مترنح وظهر منحن ، ثم التفت وراءه ، فلما اطمأن إلى خلو الطريق من المراقبين بسط قامته وانطلق فى نوبة من نوبات ضحكه المدوية ، ثم قال :

— أعتقد يا عزيزى واطسن أنك ظننت بى الاقدام فى المدة الأخيرة على تدخين الأفيون ، غير مكتف بحقن الكوكايين

— الحقيقة يا عزيزى أنى دهشت كثيراً لرؤيتك هنا

— وليست دهشتك أقل من دهشتى لرؤيتك أنت هناك

— ولكننى ذهبت يا عزيزى هولمز لأبحث عن صديق

— وأنا لأبحث عن عدو !

— عن عدو ؟!...

— نعم ، إنه عدو من أعدائى الطبيعيين. فأنا بالاختصار ياعزيزى واطسن بصدد تحقيق قضية غامضة جداً ، وقد أملت أن أجد مفتاحها فى تلك البؤرة، وهذا سبب رؤيتك إياى على هـذه الصورة التنكرية . فلو أن أمرى كشف لكان معنى ذلك ضياع حياتى ، فقد سبقت لى ثارات مع ذلك النذل الذى يدير هذه الحانة . وقد أقسم مراراً أن ينتقم منى شر انتقام . وفى مؤخرة المحل باب سرى يفضى إلى مكان مهجور على شاطىء النهر ، وإنى واثق أن ذلك المكان لو أوتى موهبة الكلام لقص علينا الأعاجيب عما يجرى هناك تحت جنح الظلام فى الليالى التى يغيب عن سمائها القمر

— ماذا تعنى يا هولمز ؟

— أعنى أن هناك جثثاً

— أى جثث ؟!...

— جثث كثيرة لضحايا من الأغنياء يقودهم هؤلاء الأشرار إلى ذلك المكان مستغلين إدمانهم للمخدرات ، أو شذوذهم الجنسى ، ثم يدفعونهم وراء ذلك الباب السرى حيث يقضون عليهم ويلقون بجثثهم إلى النهر . وإنى واثق أننا نضحى من كبار الأغنياء لو حصلنا على ألف جنيه مقابل كل جثة شهدها هذا الباب السرى تدفن بين الأمواج

ثم وقف هولمز فى وسط الشارع ووضع أصبعيه فى فمه وصفر صفيراً حاداً، فظهرت من منعطف فى الشارع عربة خصوصية ، فركبناها ، وقال :

— تعال معى . فإن فراشى فى دار سان كلير يسع اثنين

— سان كلير ؟ هل انتقلت من شارع بيكر ؟

— كلا . ولـكنى مقيم فى الوقت الحاضر بمنزل نيفيل سان كلير إلى أن أتم أبحاثى وتحقيقاتى فى هذه القضية

— وأين هذه الدار ؟

— قرب « لى » ، فى مقاطعة كنت ، على مسير سبعة أميال من هنا

— إنى لا أفقه شيئاً عن الموضوع

— لا عليك . سأقص عليك المسألة بحذافيرها



قطعنا الأميال الثلاثة صامتين ، لأننى احترمت إطراق صديقى ، إلى أن ثاب إلى نفسه وقال لى :

— لقد كنت أفكر يا واطسن فى ماذا عسى أن أقول الليلة لتلك السيدة الشابة اللطيفة حين تخف لمقابلتى عند باب البيت

— كنت أستطيع أن أفتيك ، لولا أنك نسيت أن تخبرنى بتفاصيل الموضوع

ليس فى الموضوع كثير من التفاصيل . ولست أجد أثراً يوصلنى الى نتيجة مجدية . ولكنى سأروى لك الموضوع على علاته

— تفضل ...

— منذ بضع سنين ، أو فى شهر مايو سنة ١٨٨٤ على وجه التحديد ، حل ببلدة « لى » سيد يدعى نيفيل سان كلير ، كان يبدو واسع الثراء ، فاستأجر فيللا كبيرة ، وزرع حديقة أنيقة ، وأثث الفيللا بأثاث فاخر ، وعاش على الجملة معيشة مرفهة . وبمضى الوقت عقد صلات الصداقة مع جيرانه ، وفى سنة ١٨٨٧ ، أى منذ سنتين ، تزوج كريمة أحد كبار التجار فى البلدة ، وأنجب منها فى هاتين السنتين طفلين جميلين . ولم تكن لهذا السيد حرفة يمارسها ، ولكنه كان مساهماً فى كثير من الشركات والأعمال ، فينزل من بيته إلى مدينة لندن كل صباح ، ليعود بالقطار الذى يقوم من شارع كانون كل ليلة فى الساعة الخامسة والربع . ويبلغ مستر سان كلير الآن السابعة والثلاثين من عمره ، وهو رجل متزن هادىء الطباع ، وزوج صالح ، ووالد حنون ، وهو محبوب

من كل من يعرفونه ، وأضيف إلى ماتقدم أننا بحثنا عن ديونه فوجدناها لا تتجاوز في الوقت الحاضر ثمانية وثمانين جنيهاً ونصفاً ! ورصيده في البنك أكثر من مائتين وعشرين جنيهاً ، فليس هناك إذن موضع للظن أن المتاعب المالية كانت تثقل عليه في المدة الأخيرة . وفي يوم الاثنين الماضي توجه المستر نيفيل سان كلير إلى المدينة مبكراً ، وقد علل ذلك لزوجته قبل خروجه في الصباح بأن لديه مهمتين يريد قضاءهما ، ووعد باحضار صندوق من اللعب الخشبية التي تكون بيوتاً مختلفة الأشكال لابنه الأكبر . وصادف في ذلك اليوم أن وصلت الى زوجته بعد خروجه برقية تفيدها بوصول طرد ثمين من باريس كانت قد بعثت في طلبه ، وأن عليها أن تتوجه إلى مكاتب شركة أبردين للملاحة كي تتسلم هذا الطرد . ومكاتب هذه الشركة في شارع فرسنو الذي تتفرع منه حارة « سوان دام » ، حيث التقيت بي الليلة . فتناولت مسز سان كلير غداءها مبكراً ثم توجهت إلى المدينة فاشترت بعض لوازمها ، ثم توجهت إلى مكاتب شركة أبردين فتسلمت الطرد . وألفت نفسها في الساعة الرابعة والنصف وبضع دقائق سائرة في حارة « سوان دام » في طريقها إلى المحطة. وكان يوم الاثنين كما تذكر ولاشك يوماً شديد الحرارة . لهذا كانت مسز سان كلير تسير ببطء شديد ، متلفتة فيما حولها لعلها تلمح عربة أجرة تركبها إلى المحطة هرباً من الحر ، واشمئزازاً من الوسط المنحط الذي تسير فيه . وفجأة سمعت صيحة لفتت نظرها ، فاذا بها تجمد في مكانها دهشة ، لأنها رأت زوجها يطل عليها من نافذة في الطابق الثاني من البيت الذي به الحانة ، وقد تبينت وجه زوجها بوضوح تام ، ولاحظت أنه كان متهيجاً جداً ، وأنه لوح لها بيديه كالمذعور ، ثم اختفى من النافذة فجأة بحيث خيل اليها أن أحداً من خلفه قد جذبه إلى الداخل عنوة بقوة لا تقاوم . ولفت نظرها بطبيعة الأناقة الأنثوية انه كان بملابسه الكاملة ، ولكن بغير ياقة ولا رباط عنق . فأدركت أن أمراً شاذاً يكتنف وجوده هناك ، وأنه ربما حاق به سوء ، فاندفعت تصعد الدرج ، ثم

هبطت مع السلالم إلى الغرزة ، فاخترقتها وحاولت أن تصعد السلم الداخلى إلى الطابق العلوى ، فوجدت عند ذلك السلم صاحب الحانة الذى دفعها بخشونة ثم أخرجها إلى الشارع بمعاونة بعض رجاله . فاستولى عليها غضب وفزع جنونيان ، وراحت تجرى فى حارة سوان دام كالمجنونة فلقيت فى شارع فرسنو الرئيسى بمحض المصادفة نفراً من رجال الشرطة كانوا متجهين إلى قسم البوليس بعد نهاية نوبتهم ، فاستنجدت بهم وصحبتهم إلى الحانة ، فدخلوها رغم أنف صاحبها ، فقادتهم إلى الغرفة التى رأت زوجها يطل من نافذتها منذ قليل ، فلم يجدوا له أى أثر هناك . والواقع أن الطابق كله كان خالياً ، إلا من رجل مسكين كسيح مشوه الخلقة يبدو أنه يتخذ من ذلك الطابق مسكناً له . وقد أكد هذا الرجل كما أكد صاحب الحانة أنه لا يوجد فى تلك الحجرة المطلة على الشارع أحد على الاطلاق ، وان أحداً لم يدخلها غيرهما منذ الظهر . وأمام هذه التوكيدات خيل لرجال الشرطة أن السيدة ربما كانت واقعة تحت تأثير تخيلات عصبية ، ولكن مسز سان كلير صرخت فى تلك اللحظة وهجمت على صندوق صغير كان فوق المائدة فى الحجرة الأمامية ، فنزعت عنه غطاءه ، فاذا به مملوء بالقوالب الخشبية التي يلهو بها الأطفال فيشيدون بيوتاً مختلفة الأشكال. فقد كانت هذه هى اللعبة التي وعدها زوجها فى الصباح أن يحضرها لولدهما الأكبر . وكان للعثور على هذه اللعبة ، ولما ظهر على الرجل الكسيح المشوه من ارتباك ، أثرهما الحاسم فى إقناع الشرطة بأن الموضوع جد لا هزل فيه ، ففتش البناء كله تفتيشاً دقيقاً ، كانت نتيجته العثور على أدلة قاطعة تشير كلها إلى أن جريمة فظيعة قد وقعت منذ قليل ، فقد كانت تلك الحجرة الأمامية معدة للجلوس ، وبها باب يفضى إلى حجرة معدة للنوم ، تطل على المكان المهجور من شاطىء النهر ولها نافذة كبيرة نظر منها الشرطة فشاهدوا على الشاطىء الضيق الذى ينكشف فى ساعات الجزر وينغمر بالماء فى ساعات المد ، بحيث يكون عمق الماء خمسة أقدام على الأقل ، شاهدوا آثار دماء ، وعند التدقيق

وجدوا مثل هذه الآثار على الفراش وعلى الأرض وعلى إفريز النافذة . وفى حجرة الجلوس عثروا وراء ستارة على جميع ملابس مستر نيفل سان كلير فيما عدا سترته . أما الحذاء والجوارب والقبعة والساعة الذهبية ذات السلسلة والبنطلون فقد كانت موجودة ، وليس بها أثر مقاومة . أما صاحب الملابس فلم يعثر له على أثر . فلا بد أنه خرج بوسيلة ما عن طريق النافذة المطلة على النهر ، والتى شوهدت نقط الدم على حافتها . ولم يكن هناك كبير أمل فى أن يكون قد أنقذ نفسه بالسباحة عبر النهر ، لأن التيار كان شديداً جارفاً فى هذه اللحظة

وقد نفى الشبهة عن صاحب الحانة أن مسز سان كلير نفسها شهدت أنها وجدته فى الطابق السفلى عند السلم ، ولم تكن قد انقضت دقيقة واحدة على مشاهدتها زوجها مطلا من النافذة ، فليس من المعقول أن تكون له يد فى الجريمة ، ولاوجه للطعن فى صدق دعواه أنه يجهل كل شىء عن هذا الموضوع جهلا تاماً ، وأنه لا يعلم شيئاً عما كان يفعله هيوبون وهو المستأجر الكسيح للطابق العلوى ، كما أنه لا علم له بوجود صاحب تلك الملابس التى عثر عليها الشرطة . هذا فيما يتعلق بصاحب الحانة . أما الكسيح المشوه هيوبون فلم يكن هناك أدنى شك فى أنه آخر شخص رأى مستر نيفل سان كلير . وكانت لذلك الرجل سحنة غريبة يعرفها كل من يرتاد شوارع المدينة . فهو شحاذ محترف منذ سنوات طويلة . وإن كان يتهرب من مضايقات البوليس بالتظاهر ببيع علب الكبريت . والموضع المختار لمزاولة مهنته على الجانب الأيسر من شارع خيط الابرة ، فى تجويف صغير بين البيوت . فيجلس على الأرض ويضع صناديق الكبريت فى حجره . ولما كانت خلقته تثير الشفقة وتنطق بالفاقة دون حاجة إلى كلام ، فسيل الصدقات لا ينقطع عنه ، فكل من يمر به يندر ألا يضع فى قبعته القذرة المقلوبة بجانبه على الأرض بنساً أو بنسين وربما أكثر من ذلك وقد راقبت أنا شخصياً هذا الشخص أكثر من مرة ، فاستولى علىّ العجب

للمبالغ الذى حصل عليه أمام نظرى فى برهة قصيرة . وشكله ملفت للنظر جداً بحيث لا يمكن أن يمر به شخص دون أن يلتفت إلى وجوده ، فشعره برتقالى اللون ، ووجهه الـكالح مشوه بأثر جرح قديم بشع كان من أثره أن أصبحت شفته العليا مقلوبة ، مما يقرب الشبه بينه وبين البولدج ، ولاسيما لأن له عينين سوداوين لامعتين لا تتناسبان مع لون شعره الأشقر . فهو من كل وجهة ملفت للنظر ومختلف كل الاختلاف عن أبناء مهنته . فهذا الرجـ يا عزيزى وطسن هو مستأجر الطابق العلوى من الحانة ، وهو آخر من وقعت عيناه على المستر نيفيل سان كلير الذى نبحث عنه

ـــ إنه رجل كسيح ضعيف ، فمـاذا بوسعه أن يصنع لرجل فى عنفوان شبابه ؟

ـــ إنه كسيح بمعنى أنه يستعين فى المشى بعكازين ، أما فيما عدا هذا فهو يتمتع بقوة لا تقل مطلقاً عن قوة أى شخص صحيح البنية . وربمـا علمتك اختباراتك الطبية ياعزيزى وطسن أن ضعف عضو من الأعضاء قد يكون سبباً فى زيادة قوة سائر الأعضاء

ـــ هذا جائز ولا شك ...

ـــ أما عن مسز سان كلير ، فانه أغمى عليهـا حين رأت آثار الدم على حافة النافذة ، فأوصلها أحد رجال الشرطة فى عربة إلى بيتها ، لأن وجودها فى مكان الجريمة لا جدوى منـه ، بل قد يكون عاملا معا كساً . وقد حضر المفتش بارتون فأجرى تفتيشاً فنياً ، ولـكنه لم يجد أى خيط يقوده إلى الحقيقة ، وقبض على المتسول المحترف هيوبون وفتشه ، ولـكنه لم يجد معه أى شىء يمكن أن يؤدى لادانته . ولما وجد على كم قميصه الأيسر أثر دماء ، أشار إلى إصبعه الوسطى الذى كان به قطع ، وزعم أن هـذا الجرح هو الذى لوث كم قميصه بالدم ، كما ادعى أنه كان مطلا من نافذة حجرة النوم منذ مدة وجيزة ، وبذلك تلوثت حافة النافذة من ذلك الجرح نفسه . وأقسم الايمان المغلظة أن عينيه لم

تقعا قط على المستر نيفيل ســان كلير . وأكد أيضاً أن وجود ملابس مستر سان كلير فى مسكنه مسألة محيرة له شخصياً . ولما ووجه بادعاء مسز سان كلير راح يقسم أنها إما جاهلة أو مجنونة . وسيق بعد ذلك إلى مخفر البوليس وهو يصخب ويحتج ، وبقى المفتش فى البيت لعله يعثر على شىء يفيد التحقيق . وقد عثر بالفعل على شىء من هذا القبيل . لأن ماء النهر لم يلبث أن انحسر وعثر فى الطين على سترة نيفيل ســان كلير ، فارغة منه طبعاً . وماذا تظن يا عزيزى وطسن أنهم وجدوا فى جيوبها ؟

— لا أستطيع أن أخمن

— لا أظنك فعلا قادراً على التخمين . فقد كان كل جيب من جيوب السترة مملوءاً بأكثر من مائة من النقود البرنزية بين بنس ونصف بنس ، وهذا هو السر فى غوصها إلى القاع وعدم انسياقها مع تيار النهر

— هذا معقول ولـكن الجثة تنجرف مع التيــار . ومع ذلك فكيف خرجت الجثة من السترة ؟ وما دامت جميع أجزاء الملابس الأخرى موجودة فكيف يمكن أن لا تكون الجثة مكسوة إلا بالسترة الخارجية ؟

— ليست المسألة على هــذا الوضع . فاذا فرضنا ان هيوبون قتل نيفيل سان كلير ثم ألقى به من النافذة عارياً ، دون أن يراه أحد ، فمــاذا يخطر له بعد ذلك ؟

— أن يتخلص من آثاره الباقية الدالة عليه

— وذلك ما حصل فعلا . فلا بد من التخلص من الملابس ، فبدأ بالسترة ووضع فيها حصيلة يومه من التسول كى تغوص ولا تعوم على وجه الماء . وكاد يلحق بها سائر ثيابه ، لولا أن حضر الشرطة مع مسز سان كلير فى هذه اللحظة

— يبدو لى هذا الفرض معقولا

— ولا مفر من الاعتماد على ذلك الفرض إلى أن يتيسر لنا ما هو أقوى منه . وقد قلت لك ان البوليس قبض على بون وأرسله إلى المخفر . وتبين أنه

خال من السوابق ، ولا تحيط سمعته الشبهات . وهذا هو كل ماأعلم عن الأمر.
فأمامنا الآن أسئلة يجب الجواب عليها . السؤال الأول : ماذا كان يصنع نيفيل سان كلير فى غرزة الأفيون ؟ والسؤال الثانى : ماذا حدث له هناك ؟ والسؤال الثالث : أين هو الآن ؟ والسؤال الرابع : ماعلاقة هيوبون باختفائه الغامض ؟ وهى كلها كما ترى أسئلة معقدة تبدو سهلة لأول وهلة ، ولكنها عند العلاج تستعصى على الحل

وفى هذه الأثناء كنا قد شارفنا بلدة « لى » ، ولمحنا ضوءاً بين الأشجار العالية ، أشار اليه هولمز قائلا :

— بجوار هذا الضوء تجلس شابة يأكل قلبها القلق . وإخالها سمعت صوت عربتنا ونهضت لتلقانا عند الباب وعلى لسانها ألف سؤال

— ولكن لماذا لم تصرف القضية من مسكنك فى شارع بيكر ؟

— لأننى يجب أن أقوم بجانب كبير من أبحاثى هنا . وقد وضعت مسز سان كلير تحت تصرفى حجرتين . وثق انها ستلقى صديقى ومعاونى بكل ترحاب. وإنى لأكره لقاءها وأنا خال من أنباء زوجها . ولكن لابد مما ليس منه بد

ووقفنا أخيراً أمام بوابة فيلا الأرز ، وأسرع سائس فتناول زمام الخيل، وتقدمت من عتبة الباب للقائنا شابة هيفاء حسناء شقراء يبدو على عينيها التطلع، وقد انفرجت شفتاها عن أسنان جميلة ، ولكنها لم تفتحهما لتظهر جمال أسنانها، بل لأن سؤالا حائراً كان يتردد على طرف لسانها . ولما رأتنا فى الظلام اثنين أطلقت صرخة فرح ، لم تلبث أن انقلبت إلى خيبة أمل ، ثم سألت صديقى :

— أما من أخبار حسنة ؟

— كلا ...

— سيئة ؟..

— ولا سيئة ...!

— حمداً لله على هذا . فهناك إذن أمل

— هذا صديقي الدكتور وطسن ، وقد سبق له أن ساعدنى على حل قضايا كثيرة معضلة . وقد حالفنى الحظ فالتقيت به وتمكنت من إقناعه بمعاونتى فى حل غوامض هذه القضية

فرحبت السيدة الحسناء بى ترحيباً جميلا ، واعتذرت بالظروف عما قد أجد فى ضيافتها من قصور ، فهدأت بالها وشكرت لها ظرفها وأبديت استعدادى لمعاونة صديقى في خدمتها . وعندئذ التفتت هى إلى صديقى قائلة :

— والآن يامستر هولمز أريد أن أعرف رأيك بصراحة

— فى ماذا ؟..

— هل تعتقد فى أعماق نفسك ان نيفيل حى ؟

فبدا على وجه شرلوك هولمز أنه محرج ، وأخيراً قال :

— بكل صراحة ياسيدتى ، لا ...!!

— هل تظن أنه مات ؟...

— أجل ...

— وفى أى يوم تظن انه لقى منيته ؟

— فى يوم الاثنين ...

— إذن أرجو يامستر هولمز أن تتفضل فتفسر لى كيف وصلنى اليوم هذا الخطاب منه ؟ !

فقفز شرلوك هولمز من مقعده كأنه مس سلكا به تيار كهربائى ، وراحت هى تنظر اليه باسمة وقد مدت اليه يدها بورقة

— هل أستطيع أن أراه ؟ . .

— طبعاً . تفضل بقراءته . . .

فانتزع الخطاب من يدها لفرط لهفته ، ثم بسطه فوق المائدة وراح يقرأه باهتمام شديد . ونهضت أنا من مقعدى ورحت أقرأ من فوق كتفه . وكان

المظروف من نوع مبتذل ، وعليه خاتم بريد جريفسند ، وبتاريخ اليوم .
ولاحظ هولمز ذلك فقال :
— الخط ردىء . ولا أعتقد أنه خط زوجك يا سيدتى
— كلا . ولـكن الخطاب الذى بداخل المظروف بخطه
— وألاحظ أيضاً يا سـيدتى أن من كتب المظروف توقف فى وسط الـكتابة ، وغادر مكانه ليسأل عن بقية العنوان . . .
— وكيف عرفت هذا ؟ . .
— إن الحبر المـكتوب به اسمك حالك السواد مما يدل على أنه جف من تلقاء نفسه . فى حين أن بقية العنوان مكتوب بخط يميل إلى الخضرة ، مما يدل على أنه جفف بواسطة النشاف . ولو أن العنوان كتب دفعة واحدة وجفف لـكان كله من لون واحد . فلا بد لتعليل هذا الاختلاف من افتراض أن من كتب العنوان كتب اسمك أولا ثم نهض ليسأل عن العنوان إما لأنه نسيه ، أو لأنه يجهله أصلا ، وهو فى الحالتين لا يمكن أن يكون زوجك
وفتح المظروف فوجد ورقة أخرجها وقال :
— لقد كان مع هذه الورقة شىء داخل المظروف يا سيدتى
— نعم كانت فيه دبلة زوجى . أرسلها علامة لى
— وهل هذا خط زوجك يا سيدتى ؟
— نعم هو أحد خطيه . . .
— وهل له خطان ؟ . .
— نعم . وهذا خطه حين يكتب بسرعة ، وهو مختلف تماماً عن خطه حين يكتب بأناة . . ولـكنى واثقة أن هذا خطه
وكانت الـكلمات التي فى الخطاب على النحو التالى :
— لا تفزعى يا عزيزتى الغاليـة . فسينتهى كل شىء على أحسن وجه . وهناك التباس . . سيمضى وقت طويل قبل انجلائه ، فأرجو أن تنتظرى

مطمئنة وأن تتذرعى بالهدوء والصبر ـ نيفيل

وكانت هذه الكلمات مكتوبة بالقلم الرصاص على صفحة منتزعة من كراسة ، فراح هولمز يقلب الخطاب ثم قال :

ــ ألاحظ أن من ألصق المظروف شخص متعود على مضغ الدخان . وأن من ألقاه فى صندوق البريد كانت يده قذرة تركت أثراً على المظروف . ولا أكتمك يا مسز سان كلير أن هذا الخطاب بعث بعض الأمل فى نفسى ...

ــ هو حى إذن ؟

ــ إلا إذا كان الخط مقلداً لتضليلنا . وأما الدبلة فلا تدل على شىء ، لأنها ربما انتزعت منه انتزاعاً . . .

ــ لا تزوير . أنا واثقة أن هذا خطه

ــ هناك على كل حال احتمال أن يكون قد كتب الخطاب يوم الاثنين ، ثم أرسله المرسل اليوم فقط

ــ جائز . ولكن أرجو ألا تؤيسنى يامستر هولمز . فأنا أشعر فى أعماق نفسى أنه بخير ، فان بيننا رابطة قلبية قوية ، فلو أصابه مكروه لشعرت بذلك فى الحال . فأنا مثلا فى صباح يوم الاثنين كنت فى قاعة المائدة ، وشعرت بانقباض مفاجىء دفعنى أن أهرع إليه صاعدة السلم فوجدته قد جرح إصبعه وهو يحلق لحيته فى حجرة النوم . أفتحسب أنه لو قتل كنت لا أشعر بإحساس داخلى ، مادام اتصالى الروحى به على هذا النحو ؟

ــ لقد جربت الحياة ياسيدتى ، وتعلمت منها أن إحساس المرأة قد يكون أقوى من أثبت البراهين العقلية . ولكن بماذا تفسرين أن يكون زوجك حياً ، قادراً على كتابة خطاب إليك ، ولا يحضر إليك بنفسه ؟

ــ هذا هو اللغز الذى لا أستطيع له تفسيراً

ــ وهل لم تسمعى منه صباح الاثنين أى إشارة خاصة قد تفسر هذا الغياب غير المفهوم ؟

— أبداً . . أبداً . . .

— وهل أدهشك أن تراه فى حارة سوان دام ؟

— كل الدهشة ! ! . .

— وهل كانت النافذة التى يطل منها مفتوحة أو مقفولة بالزجاج ؟

— مفتوحة . . .

— إذن ربما كان فى استطاعته أن يناديك

— طبعاً . ولـكنه لم يطلق إلا صيحة مكتومة أشبه ما تكون باستغاثة

— ولماذا لا تكون صيحة دهشة لرؤيتك على غير انتظار فى حين كان يظنك فى البيت ؟

— ذلك جائز . . .

— وتقررين أنه أدخل فجأة كأن أحداً جذبه بقوة

— نعم لأنه اختفى من النافذة فجأة . !

— أليس جائزاً أنه تراجع ليخفى نفسه عنك ؟

— جائز . . .

— قد قررت أنه كان بملابسه العادية

— نعم ولـكن بغير ياقة أو رباط عنق

— وهل سبق له أن حدثك بأى شىء يتصل بحارة سوان دام من قريب أو بعيد ؟

— لم يسبق له أن حدثنى بشىء عنها . . !

— شكراً لك يا مسز سان كلير . فهـذه هى النقط الأساسية التى كنت أسعى إلى استيضاحها منك



وانصرفنا إلى حجرتنا للنوم ، فنمت أنا نوماً عميقاً ، أما شرلوك هولمز فبقى بملابسه مضطجعاً على الأريكة الـكبيرة يدخن غليونه باستمرار إلى أن

طلع الفجر ، فاستيقظت لأجد كمية هائلة من الرماد أمامه ، وكمية خانقة من دخان الغليون الأزرق تملأ الغرفة ، فبادرني قائلا :

— أسرع بارتداء ملابسك يا وطسن ، فاننا نريد أن نركب إلى المدينة قبل أن تستيقظ ربة البيت . فالساعة الآن الرابعة والنصف

وسرعان ما كنا راكبين العربة الصغيرة وزمام الجواد فى يد شرلوك هولمز يقودها بنفسه . فقال لى وهو يجذب اللجام :

— إنك تجلس الآن يا وطسن إلى جوار أحد كبار المغفلين فى العالم . فقد غابت عنى أشياء كان يجب ألا تغيب . ولكن مفتاح القضية أصبح الآن فى يدى . . .

— وأين هو ؟ أرنى إياه . . !

— إنه فى الحمام . أؤكد لك أنه فى الحمام ، ولست مازحاً . وقد أحضرته معى فى هذه الحقيبة الصغيرة ، وسنرى الآن إذا كان المفتاح صالحاً لقفل الباب أو غير صالح . . .

ووصلنا المدينة وكانت لا تزال غارقة فى النعاس ، وأوقف شرلوك هولمز العربة أمام مخفر البوليس ، وكان معروفاً لرجال القوة ، فدخل على المفتش صاحب النوبة وبادره قائلا :

— أريد يا عزيزى برادستريت أن تسمح لى بمقابلة المتهم هيوبون

— بكل سرور . فهو فى الزنزانة . وإنه لعمرى مخلوق قذر

— قذر ؟ . .

— نعم فاننا لم نفلح فى حمله على الاستحمام كما هى لائحة المخفر . وبصعوبة أقنعناه بغسل يديه . أما وجهه فلا يزال بلون التراب . ولهذا فأنا مصمم بمجرد انتهاء التحقيق وصدور أمر النيابة بحبسه على ذمة القضية أن أجعل الجنود يسلخون جلده سلخاً بالماء الساخن فى حمام السجن

— أرجو أن تقودنى إليه

— تفضل معى . اترك حقيبتك هنا . . .

— بل أفضل أن آخذها معى

— أنت وما ترى . تفضل من هنا . . .

ووصلا معاً إلى الزنزانة التى كان محبوساً فيها المتسول المحترف . ووجداه نائماً ، فأشار هولمز إلى المفتش بإصبعه على فمه ألا يحدث صوتاً ، ثم فتح الحقيبة ، فضحك المفتش كثيراً وهو يراه يخرج منها قطعة ضخمة من الاسفنج يبللها من جردل الماء ، ثم يدعك بها وجه السجين النائم وهو يصيح كأنه يخاطب المفتش :

— اسمح لى أن أقدم إليك المستر نيفيل سان كلير من أعيان بلدة «لى» فى مقاطعة كنت !

وأشهد أمام الله اننى لم أر فى حياتى منظراً كهذا ، فقد برز من تحت الاسفنجة وجه لا علاقة له بوجه المتسول هيوبون . وإذا تلك الشفة المقلوبة التي يعرفها جميع المحسنين من أهالى لندن وقد حلت محلها شفة جميلة كأنما رسمها فنان مبتدع

وأطلقت تلك الشفة الجديدة صرخة رعب وفزع ، جاوبتها صرخة أخرى من بين شفتى المفتش المذهول الذى صاح :

— هو والله الرجل المفقود

وأخيراً وجد سان كلير الجرأة على الكلام فقال :

— إذا كنت أنا الرجل المفقود ، فلا جريمة إذن ، ولا موضع لاعتقالى

فقال هولمز :

— لا جريمة حقاً ، بنص القانون . ولكن لا شك انك أسأت إلى زوجتك بهذا القلق الذى سببته لها . وكان يجب أن تثق بزوجتك فانها تحبك حباً لا مزيد عليه تغتفر لك من أجله كل شىء

فتأوه الرجل وقال :

— ليست زوجتى هى التى تحملنى على الكتمان ، ولكنهما طفلاى . فلا أريد أن يخجلا من أبيهما . رباه ! ماذا عساى الآن أن أصنع ؟

فجلس شرلوك هولمز إلى جواره وربت على كتفه بعطف وطمأنه بأنه سيسعى لدى السلطات لحفظ القضية بدون محاكمة مادام ليست هناك جريمة ، وبذلك لا تتسرب الفضيحة إلى الرأى العام

وأنشأ الرجل يحدث شرلوك هولمز بقصته . قال :

— كان والدى معلماً فى شسترفيلد ، أحسن تعليمى وتربيتى ، ثم اشتغلت مخبراً صحفياً فى لندن . وذات يوم طلب منى سكرتير التحرير تحقيقاً صحفياً أميناً عن الأحوال الاجتماعية الطريفة فى العاصمة . وكنت قد اشتغلت بالتمثيل وأنا فى الجامعة ، فتنكرت ذات يوم فى زى متسول على الصورة التى رأيتها ، وجلست فى ذلك المكان ، فاجتمع لى فى نهاية اليوم أكثر من جنيهين ، وكتبت التحقيق الصحفى المطلوب فلم أظفر بأجر عليه إلا ثلث ذلك المبلغ . ثم حدث أن ضمنت صديقاً فى دين مقداره عشرون جنيهاً ، ولم يدفع صديقى الدين فطولبت به ، وحجز الدائن على أثاث حجرتى المتواضع ، وعندئذ خطر ببالى أن أعود للتنكر أسبوعاً أو نحو ذلك فى ساعات فراغى حتى آتى بالمبلغ . ونفذت الفكرة بنجاح تام . وبعد ذلك وجدت من العسير أن أكد ذهنى فى العمل الصحفى الشاق طول الأسبوع كى أحصل على جنيهين ، وأنا أستطيع الحصول على ذلك المبلغ من التسول فى يوم واحد دون أن أبذل أى مجهود . وهكذا انزلقت من الهواية الى الاحتراف . واستأجرت ذلك الطابق لأبدل فيه ملابسى فى الصباح والمساء لقاء أجر طيب يتقاضاه منى صاحب الحانة ضماناً لكتمان السر . وسرعان ما تجمع لدى مبلغ كبير ، استغللته فى الأسهم والسندات ، ثم استأجرت تلك الفيلا فى الضواحى ، وتزوجت زواجاً محترماً ، دون أن يثور أدنى شك حول مهنتى . وفى يوم الاثنين الماضى كنت قد انتهيت من عملى ، وبدأت فى تبديل ملابس العمل ، وأطللت من النافذة ففوجئت بزوجتى فرفعت

يدى إلى أعلى فزعاً ، وانطلقت من فمى صيحة دهشة ، ثم تراجعت بسرعة وصرخت من فوق على صاحب الحانة أن يمنع أى إنسان من الصعود بأى ثمن. ولما سمعت صوتها تتناقش معه أسرعت بارتداء ملابس التسول، وعمل الماكياج ، ثم خطر لى أنها قد تستدعى البوليس للتفتيش ، فبدأت بالقاء سترتى ، وكنت قد ملأتها بما تجمع لى فى ذلك اليوم من الصدقات وهى عملة برنزية ثقيلة ، فغاصت فى قاع النهر . وكنت قد جرحت نفسى فى ذلك الصباح وأنا أحلق لحيتى فى الحمام فنزف الجرح وأنا أفتح النافذة بعجلة وعنف ، وتساقطت قطرات الدم على حرف النافذة وعلى الأرض ولطخت كم قميصى. وهممت أن ألقى بقية ملابسى وراء السترة ، ولكن فى هذه اللحظة سمعت أقدام رجال الشرطة يصعدون السلم فتراجعت . وإذا بى ـ وقد خفت أن أفتضح باعتبارى نيفيل سان كلير ـ قد قبض علىّ باعتبارى قاتل نيفيل سان كلير . والآن وقد انتهت هذه المشكلة بخير ، أتعهد أمامك أن يكون هذا آخر عهدى بذلك التنكر الملعون

— وخطابك إليها ؟...

— كتبته فى البيت ورجال الشرطة مشغولون بالتفتيس ودسسته فى يد صاحب الحانة ، بعد أن وضعت الدبلة داخل المظروف لأننى خشيت أن تضبط فى إصبعى وعليها اسمها . . .

— ولكن الخطاب لم يصل إلا أمس

فقال المفتش عندئذ مفسراً :

— لقد كان هذا الرجل تحت مراقبة البوليس ، ولذلك صعب عليه أن يرسل الخطاب خلسة ، وربما كلف بذلك أحد زبائنه من مدخنى الأفيون ، فنسيه الزبون فى جيبه حتى أمس



وبتدخل هولمز حفظت القضية فعلا ولم تقدم للمحكمة . وحرم المحسنون الى الأبد من تقديم الصدقات للرجل الكسيح ذى الشفة المقلوبة

هذه المغامرات

لم نجعل عنوان هذه الصفحة كما اعتدنا : « هذه الرواية » لأن هذه المغامرات البوليسية ليست رواية واحدة، بل هي عدة روايات ذات مشكلات مختلفة، تدور كل منها حول عقدة من العقد، وتنفرد كل واقعة من وقائعها بلون بوليسي خاص يتطلب حلا معيناً من شرلوك هولمز هذه الشخصية البوليسية العالمية التي ابتدعها السير أرثر كونان دويل مؤلف هذه المغامرات، وأدار حوله كل المشاكل البوليسية في رواياته كلها، وكان هو بطلها البارع الذي وهب من قوة الملاحظة، ودقة البحث، ومهارة التحقيق، وكشف أسرار الجرائم، ما لم يكن لغيره من المحققين. وقد أصبحت طريقته الفذة في اكتشاف الحقائق والوصول الى المجرم الحقيقي هي الطريقة المثلى لرجال البوليس السري في جميع الأمم

وقد تولى رواية هذه المغامرات صديقه وزميله الدكتور وطسون. وقد حرص هذا الزميل – الذي ابتدعه أيضاً المؤلف – على أن يروي وقائع كل مغامرة بالأسلوب البوليسي الممتاز، وبالطريقة التي امتازت بها كل روايات شرلوك هولمز بحيث ينساق القارىء في شوق شديد لمعرفة الوقائع وكشف الحقائق انسياقاً يحبس فيه أنفاسه ولا يهدأ حتى يقف على السر الحقيقي



وقد اشتملت هذه المغامرات على ست روايات قصيرة وهي : « فضيحة في بوهيميا » . و« ذوو الرؤوس الحمراء » . و « العريس المفقود » . و « مأساة وادي بوسكومب » و « بذور البرتقال » . و « ذو الشفة المقلوبة » . ولكن كل رواية لا تقل في عقدتها الغامضة، وحوادثها الشائقة عن أية رواية طويلة . ولهذا فنحن نقدم لك عدة روايات في رواية واحدة، وعدة كتب في كتاب واحد كما وضعها المؤلف البارع السير آرثر كونان دويل دون أي تلخيص أو اختصار ..!